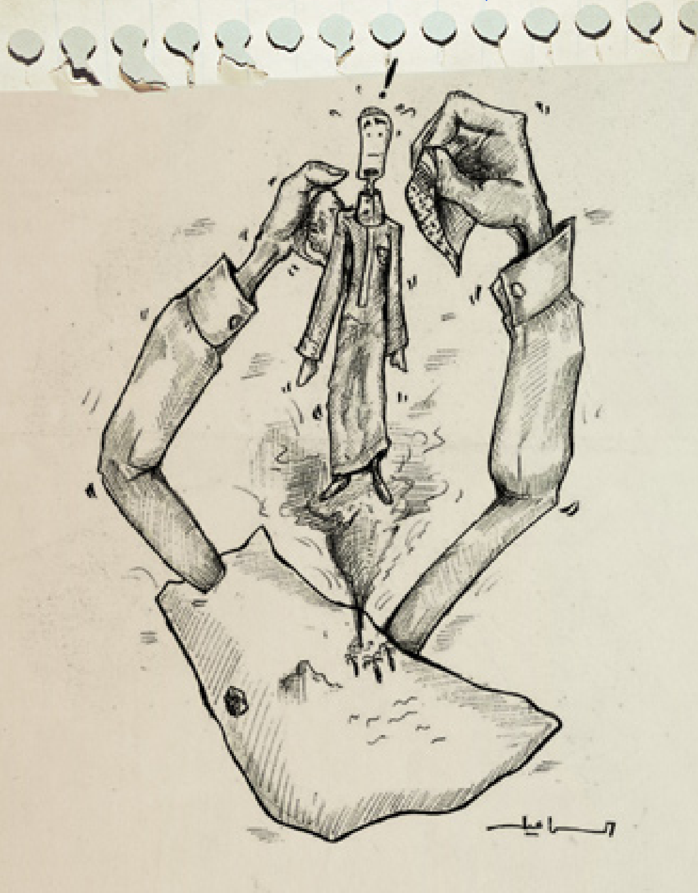
وَطَنٌ مُرٌّ... كَالقَهوَة

كتابة: أثير السادة
رسوم: حسين آل اسماعيل
تصميم: يوسف عبدالله

وطني مبتدأ الخوف



«وطني الذي هجاني في درس التوحيد وأخرجني عنوة من حصص التاريخ أخاف أن يسوقني بضاعة مزجاة في سوق المتاجرين بالشعارات الوطنية ممن لبسوا ستراتهم الرسمية ساعة الكتابة، فراحوا يرسمون الوطن على مقاسهم وأرسلوني فيما تبقى إلى سلة المهملات، أو سلة الجيران!»

أخاف أن يتركني وحيداً لذئاب تعوي كلما ارتفع السُعار القومي في المنطقة وأمطرت سحائب الصيف السياسي مطراً طائفياً، فهناك تصبح الرؤية معدومة، وتصبح خطوة واحدة نحو الاختلاف تعادل جريمة شرف، أو هتكاً للإجماع الوطني الذي لا يحتاج إلى مخاضات للولادة، فهو موجود بالقوة ولا يقبل القسمة أو الطرح إلا في قضايا الاختناقات المرورية.

هذيانات وطنية

وطن كالليل...مفعم بالغياب

أخاف أن أنتهي مسرحية حزينة بلا تشويق على يد رجال مافتئوا يكنسون صورتي ضمن حملات النظافة العامة التي ترى فيَّ كائناً مقطوعاً عن الإيمان، هذا الإيمان الذي لا ينبغي له أن ينام إلا على أرصفتهم، ولا يمر إلا بشوارعهم، لذلك قد يسار بي إلى اختبار لتصحيح النظر في غرف ضيقة لا مقبض لأبوابها، فهي مفتوحة على اتساع القانون الذي صيرني مجرماً مسكوتاً عنه حتى إشعار آخر.

أخاف من اليسار واليمين والوسط، فكلما حرك حسن نصر الله عمامته استداروا لي يسألونني إن كانت ساعة المنبة ليلة البارحة مؤقته على خطاباته، وإن كنت ساعتها متبرماً أو باسماً أو نائماً، تاركين لي خطوطهم الحمر على شفتي كي لا ينتهي الجواب إلى خيبة للوطن الذي كثيراً ما أرسلوه للحلاق!.

يختلفون معظم الوقت فيما بينهم، لكنهم يتفقون في لحظة نادرة على قص لساني، وعلى حرماني من لذة الزفير، فأنا باختصار مواطن حمله الوطن كرهاً ووضعه كرهاً وتبناه كرهاً لولا بصمات أصابعه على براميل النفط الغافية بالجوار منه.

حنجرتي التي رددت أناشيد الوطن زمناً طويلاً في طوابير الصباح، تحت لهيب الشمس وتحت زخات المطر، لن تسعفني كثيراً في حراج الأوسمة الوطنية الذي يقوده كتاب الأعمدة في صحائف الوطن الخضراء والصفراء والبيضاء.. لن تكفيني في صراخ الإذاعات التي جعلت مني حية تسعى، جملاً بلا سنام، وهلالاً لا يشبه العيد، ولا يبعث السرور في وجه الوطن.. حتى رؤوس النخيل وحبات الرمل وزبد الشاطئ الذي نادمته صبياً لن يجدي في منحي الحق للرقص على وقع أغاني الوطن!.

هذيانات وطنية

بعض الوطن.. اضغاث أحلام

أخاف أن يملني وطني لكثرة ما ذكرته بأني حملته يافطة في ساعة الرخاء والشدة، وتوسدته في سكينة الليل وجعلت منه ثوباً يسترني، فيما هو ينسى كل أسباب خوفه في غمرة الخوف لأبقى خوفه الأول والأخير، ويبقى كلانا يخاف الآخر، ووقتئذ لن أملك من خارطة الوطن إلا الخوف لأسكنه ويسكنني!

الهوية الوطنية.. صورتنا حين لا تشبه أحدا



«البِطاقَةُ بالكسر: رُقَيْعَةٌ تُوضَع في الثوب فيها رَقْم الثمن بلغة أهل مصر / الصحاح في اللغة.

في سن الخامسة عشرة، أي بعد أن يخضر أو يسود ما بين الفتحتين، الأنف والفم، يصبح من حق الإنسان/الذكر أن يستدفئ بنار الوطنية، أن يطبع صورته في الشمس ويحمل ملفه الأخضر ليستخرج له هوية، والهوية لا تباع وتشتري، وإنما تعطى بالقوة، فكل مواطن عليه أن يفكر بالأخضر متى ما استقام عوده، واشرأب عنقه، ليقف بجوار النخلة والسيفين، في بطاقة كأنها غسل التعميد بالوطنية»

بالأمس كانوا يسمونها بطاقة الأحوال المدنية، واليوم بطاقة الهوية الوطنية، تبدلنا من حال إلى حال، وانتقلنا من مدنية إلى وطنية، لم تعد أسماؤنا أحوالاً، ولكنها هويات، نهوي بها إلى قلب الوطن هوياناً لا فرار بعده ، نتلبسه ويلبسنا، فصورتنا بعدها من صورته، نشبهه أكثر مما نشبه أنفسنا.

هذيانات وطنية

الوطن...خبر مرفوع لمبتدأ محذوف تقديره أنا وأنت

هوية المرء تبدأ من إسمه وتنتهي بصورته، هما وجهان لهوية واحدة، وفي مكاتب الأحوال يدفع الناس بعد التسمية دفعاً إلى مقصب التصوير، سيبحث المصور عن لحظة ميتة في وجهك ليطابقها مع الإسم، سيتشاغل عن كل شيء بارتفاع ناصيتك، عبثاً يحاول اليافعون أن يرسموا وجه الموناليزا على تعابيرهم قبل الدخول، يحدقون في مرآة نسيها الزمن في طرف المكان، يعدلون في غترة مستعارة وعقال هارب من الأدرج، فلا وطن بلا عقل، ولا هوية بلا غترة، غير أن الانتظار الطويل في مكتب الأحوال يكفي لامتصاص كل الماء في الوجه، وربما كل الزيوت في البدن، فما إن تقبل الكاميرا بعيونها الصغيرة حتى ينكمش المواطن، ويصبح قطعة صغيرة جداً في جسد الهوية.

ستكون النسخة الأولى من الهوية صورتنا التي لا نحب أن يراها أحد، لأنها لا تشبه أحداً، وجوه شاحبة، شفاه ذابلة، نظرات شاردة، وغترة نسيت دورها، هي تشبه كل قلق الانتظار، وقلق التأخير، وقلق التعطيل، وقلق الأصدقاء التائقين للتهكم، وقلق المصور الذي يخشى أن تخطئ ومضته التوقيت فتخرج الصورة خالية من أي هوية!.

هذيانات وطنية

لا أحد يشبهك يا وطني... إلا إسمك

عشر سنوات عمر الهوية الأولى، الصورة الأولى في سجلات الوطن، سنوات كافية لتمتد المسافة بنحو كوميدي بين الصورتين، صورة الأمس وصورة اليوم، كلما أخرجتها من جيبك لتطلع رجال المرور عليها في نقاط التفتيش خشيت أن ينقلبوا على ظهورهم، أن يرمقوك بنظرة تهكم قاتلة، لأن النظام قرر لك البقاء في حصن ملامحك الأولى، يذكرك بأول قراراتك الوطنية، وهو أن تكون صورة متخثرة في بطاقة كل ما فيها ممغنط إلا أنت!.

الوطنُ مُتَوهماً



"أنا و الوطن لا نفترق غالباً، كلانا يسكن الآخر، هو وضعني في الدرك الأسفل من شرق الخريطة، وأنا أفردت له خزانة المشاعر مكاناً يقضي فيه الليل والنهار، نبحث عن بعضنا كلما أخطأت الأحوال الجوية والسياسية والاقتصادية في مؤشراتها، نختلف مرات، نكذب على بعضنا مرات، لكننا نتأنق كلما مر النشيد من أمامنا"

اليوم وجدت وطني الذي لم تجف سراويله بعد من بلل الفساد الذي أغرق البلاد والعباد في جدة قد أرسل في المدائن حاشرين، يسألون عن صورة متأنقة لوجهه الذي غاب في انطفاء السيل، وطني الغافي في زاوية البار يبحث عن مرآة توقظ ما أطفأه السيل، عن ضوء يلتمع في ليل النادبات، ليذكرنا أن للوطن صوراً، وجوهاً بتعداد حبات المطر.

هذيانات وطنية

الوطن... كل ضربة ركنية تعتلي العارضة

تصوّر وطنك..حملة للبحث عن صورة جذابة للوطن..هكذا يقول الإعلان..إعلان يدغدغ المصورين في هذا الوطن، كأنه يقول لهم اشتهي وطناً على مزاجك وضعه في إطار، خلف الكاميرا يصبح الوطن خاصتك، نظرتك العابرة خلسة ، فاصنع منه أفقاً لحياة تتمناها، لطريق تحلم أن تمر منه قبل أن ترحل.

أنا من وطن الفساد...سابقاً

هذيانات وطنية

تصوّر وطنك..توهمه حتى كأنك تراه، فبعض الوطن أضغاث أوهام، أوسِع من فتحة عدستك وفتحة قلبك واترك عقلك في حقيبة المعدات، وأجعل اصابعك تنحني على ظهر الأمنيات، مني النفس بوطن جميل لا يسقط الإ كقبلة على خد طفل في انهمار المطر، وطن يعرف أن له جهات أربعة، تستحق أن تتفتح فيها أزاهير كل المواسم.

هذيانات وطنية

الوطني..

لا تُوجَدُ كَلِمَاتٌ أو تَعَابِيرٌ مُطَابِقَةٌ أو ذَاتُ صِلَة بإجماع قواميس اللغة

لا تُصور بل تصوّر، ففي بطن الدفاتر ألف صورة، وفي سلة المهملات ألف حلم تسكع ليلاً ولم يحظى سوى بالكنس، فتصور وطناً بلا أغصان يابسة، بلا مدن منسية، بلا كائنات مملوءة بالوجع، بلا حناجر كاذبة، بلا سماء ملوثة، بلا جموع مطبلة، بلا صحافة خائفة، وإذا تمكنت من بلوغ ذلك فسنوقظك من غفوتك لتحيا كما نحيا..خارج الحلم.

وطن ضد الكسر



❞ شركاء في الوطن..عبارة أشبه بالزيوت الطيارة، فهي ما إن تتعرض للنور حتى تتبخر و في الصحافة السعودية من الكتاب من تسخن فيه روحه الوطنية بين وقت وآخر فيذكرنا بأننا شركاء، تراه يكتب قائماً أو قاعداً لينبه إلى أن الأصل في الدين التوحيد وفي الوطن الشراكة، وفي نهاية اليوم يجلس متكئ على أريكته بانتظار جوقة التصفيق التي ستزدحم لمباركته هذا العرض الشيق! ❝

تشعر وأنت تقرأ هذه الجملة التي حكم عليها رجل الراية بالتسلل أننا في صدد اكتتاب جديد في الوطن، وينتابك شعور غريب أيضاً يبدو فيه أن الوطن انقلب إلى «حوش» به من الحلال الذي سيتقاسموه الشركاء في نهاية الدرب، أو دكاناً كدكان بن عاقول ليمتد حيث «ابومجبل» ينادي بأن الحلال اللي فالتجوري نصه لك ونصه لي!!.

هذيانات وطنية

الوطنية: بقالة في حينا القديم كانت تبيع كل شيء

بالأمس «كلنا للوطن»، وكان الشعار يقتضي أن نكون خردة في مستودعات الوطن، لأن صورة الوطن لا تجاوز صورة مدفع يتحين وقع المعركة القادمة، ومع صحوة الليل، وارتفاع نجم سهيل الحداثة، أصبح العزف على درجة «الراست»، فارتفعنا على سلم السياسة حتى بلغنا مقام «الوطن لنا كلنا»، كأننا برحنا المعركة وجاء وقت اقتسام الغنائم، وستتسع قائمة الشراكة التي لا نعلم رأس مالها المعلن، لتبدأ بالشراكة في التراب ولا تنتهي بالشراكة في السلطة!.

ولأن الكتبة الحافظين في صحفاتنا ألوان، ستتلون هذه العبارة في سبات حروفهم، ستتعرض للجر وللرفع والكسر للتدليل على ارتباكنا أمام جملة صغيرة، لأنها أصبحت خندقاً لأولئك الذين يطلبون المستحيل، وعريضة لمن استوحشوا طول الطريق، وذريعة لمن ضاق بهم صدر الوطن.

سيصبح هذا الشعار رسالة بريد مشفرة قدرها أن تشيخ مفرداتها قبل أن تصل إلى العنوان المكتوب، وقبل أن يتأولها شراً فريق هنا وفريق هناك.

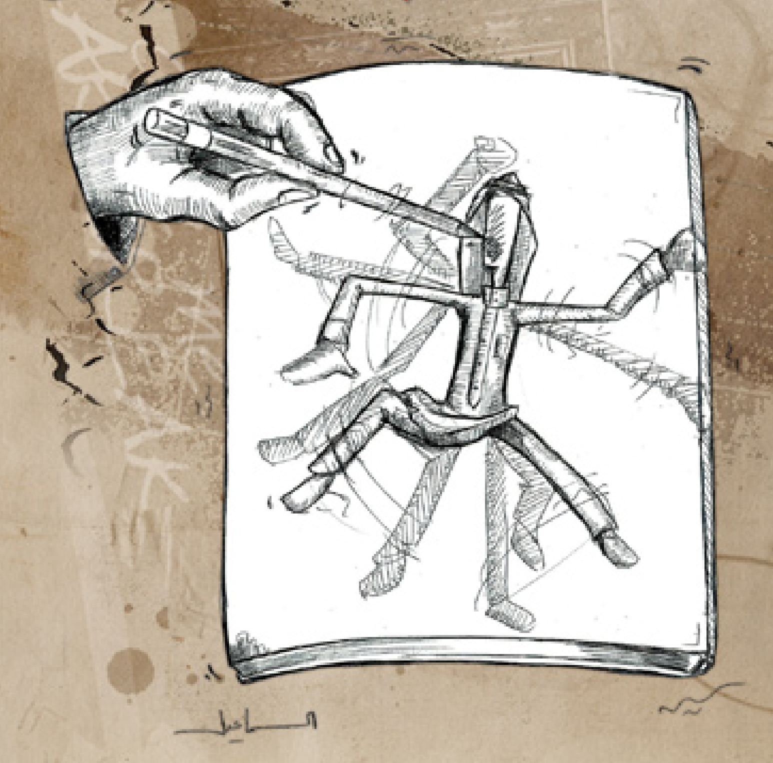
الوطن إشاعة...للجميع

هذيانات وطنية

سنجلس جميعاً على شرفة الوطن لنغني شعاراً ينام ويصحو دون أن يحرك ساكناً، لأن المحتفين به أحالوه قصيدة عاطفية، لأنهم يحلمون بوطن من أغانٍ طويلة، في الوقت الذي يختمر في الشعار سؤالٌ سياسيٌ قلقٌ، سؤالٌ حاسر الرأس لا يخاف الانحشار بين الثقوب..شعار في حضوره دلالة على الغياب، وفي اتساعه دلالة على الضيق، فحين يصبح استحقاق بعض المواطنين للشراكة موضعاً للتقييم والسؤال فهذا يعني أننا على بعد مسافة من فضيلة تَمثُله في الواقع، وأننا أمام قضية سُرقت نصف حقيقتها في كتابة منذورة لقهوة الصباح فقط!.

الصور الإعلانية

ودباغة الوجوه



«لا أظن أن أحداً في هذا العالم حين يرى إعلاناً في الشارع به وجوهاً واجساداً مضيئة سيوقف دابته ويصلي باتجاههم ركعتين تأسياً بأحوال اللات والعزى، ولن تأخذه الظنون أياً كان وزن عقله إلى أن يتطوف بهذا الإعلان ويذبح له قرابين»

كما لا أظن أن هنالك من المصورين من يحلم بأن ينفخ في الصورة، بوووخ بوووخ، فتصبح كائنات حية، تمشي على الأرض، حتى ينافس الله في صنعه، ولا أن يحدث نفسه بعد كل صورة، والصور بالآلاف، بأنه اقترب أن يكون إلهاً لتلك الألوان والأوراق والوجوه، وأن ما بينه وبين الله من فوارق لم تعد بالكثيرة!!.

هذا ما لا أظنه..لكن في المقابل هنالك من لا يزال يظن ويعتقد بأن هذه الصور الملعونة التي تطل علينا من كل باب، وتدخل إلينا من كل نافذة، هي داء وبلاء، تفر منها الملائكة، وتنزوي بها البركة، ولأن البلوى عمت ولا سبيل للفرار منها سيرى هذا الفريق الصالح بأن نأخذ من الصور بمقدار الضرورة ونطمس الباقي، كأن نجعل صورة ٤*٦ جائزة والباقي إلى جهنم!!.

هذه الظنون وهذه الهواجس لا ترتاح أن تنام في الكتب وعلى ظهر القراطيس، تصر دائماً أن تطاردنا في اليقظة والمنام، فإذا كنت من أرباب الشهرة في هذا الوطن، فمن المحتمل أن تزاحم أعمدة الإنارة في الشوارع بصورك، أو تزاحم البلاط فوق الجدران، وفي الممرات، أو تزاحم الحروف على صفحات المجلات، ستكون في هذا وذاك مكباً للنظر، موضعاً لاستدارة عيون الناس، وهذه كرامة من كرامات الشهرة التي تخرج الواحد فينا من الظلمات إلى النور.

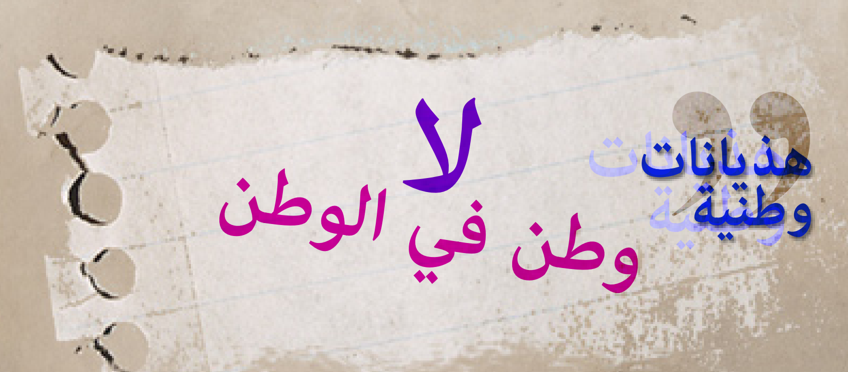
من ظلمة الغياب إلى فلاشات الظهور..لكنك وفق قاعدة «حق الصورة الفوتوغرافية أن تطمس» ستكون عرضة للدبغ العلني، وجه «الموديل» وهو يمسك بقارورة الحليب، والذي أضاع مهندس الإضاءة والمصور نصف اليوم لتهيئته، سيسيح مع ما تبقى من حليب القارورة، وجه ممسوح، مفلطح بلا عيون ولا أنف، لنعرف أن الحليب وظيفته المسخ!.

وطن
بلا
مفاتيح
هذيانات
وطنية

ستضيع روح الإعلان، وتضيع رسالته، بعد أن يعمد الخائفون من الصورة إلى طمس معالم الوجه بلا فرق، الأطفال، النساء، الرجال، في دعايات العطور والأزياء والأغذية، كلها كائنات ممسوخة من إبداعات الخوف، فيما فلسفة الإعلان متروكة لفاتورة الحساب فقط.

ولأن الصورة الرأس، فإذا قُطعٍ فلا صورة كما يروى، كان قدر الصورة في كتب الدراسة سابقاً أن تقطع إلى جزئين، رأس يفصله عن الجسد ٢ ملم، فاصل من بياض لوناه مرات ومرات لنعيد الروح إلى الجسد المقطع ..

ربما حسبناه خطأً طباعياً وقتها، لأننا لم نفقه بعد في علم الصورة وأحكامها، ولو كان الحال كهذه مع صور الإعلانات لكان أهدى سبيلاً، ولضحكنا قليلاً وتمتعنا طويلاً بالنظر إلى تعابير الوجوه في الإعلانات المغدور بها.



قانون أو لا قانون، هو السؤال الذي لا يجد جواباً شافياً حين نسأل أصحاب المحلات عن أسباب الطمس، سيشيرون فقط إلى أن المطوع قد مر بهم وأمرهم بذلك، وأنا اتمنى أن أجمع من صور هؤلاء المطاوعة الشجعان ما يكفيني لإقامة معرض شخصي، نقطع فيه صورهم إلى أجزاء فيما يشبه مقصباً جماعياً، حتى يعرفون ماهية الصورة!

أبوالعبد..مواطن بدل تالف



«أقصى ما يحلم به أي مواطن شريف في هذا الوطن، أي مواطن له رجلان وأنف وفم وأذنان، هو أن ينجز معاملته الحكومية من دون أضرار، من دون الحاجة إلى حبتي بانادول، ولا قارورة واسطة، ولا هيجان في الغولون ولا انتفاخ في اليافوخ، فكل زيارة إلى تلك الأماكن تذكر الإنسان بأن الموت حق، والوطن حق، وأن عذاب المراجعات الحكومية حق!»

ولو شاءت الأقدار، وهالت الأهوال، وتلفت بين يديك بطاقة الأحوال، فستكون كالمسكين على حد السكين، صاحبنا أبوالعبد، الذي اكتشف فجأة أن صورته هربت من بطاقة الهوية بعد أن تعرضت للشمس، وجهه الوضاء كأنوار الفلورسنت أصبح بلا ملامح، بلا أنف ولا فم ولا أذنين، وهذا يعني أنه بلا هوية، ولأنه مواطن يخاف الله والوطن راح يطرق باب الأحوال المدنية في الخبر، يسألهم بطاقة لله أتلفها القدر.

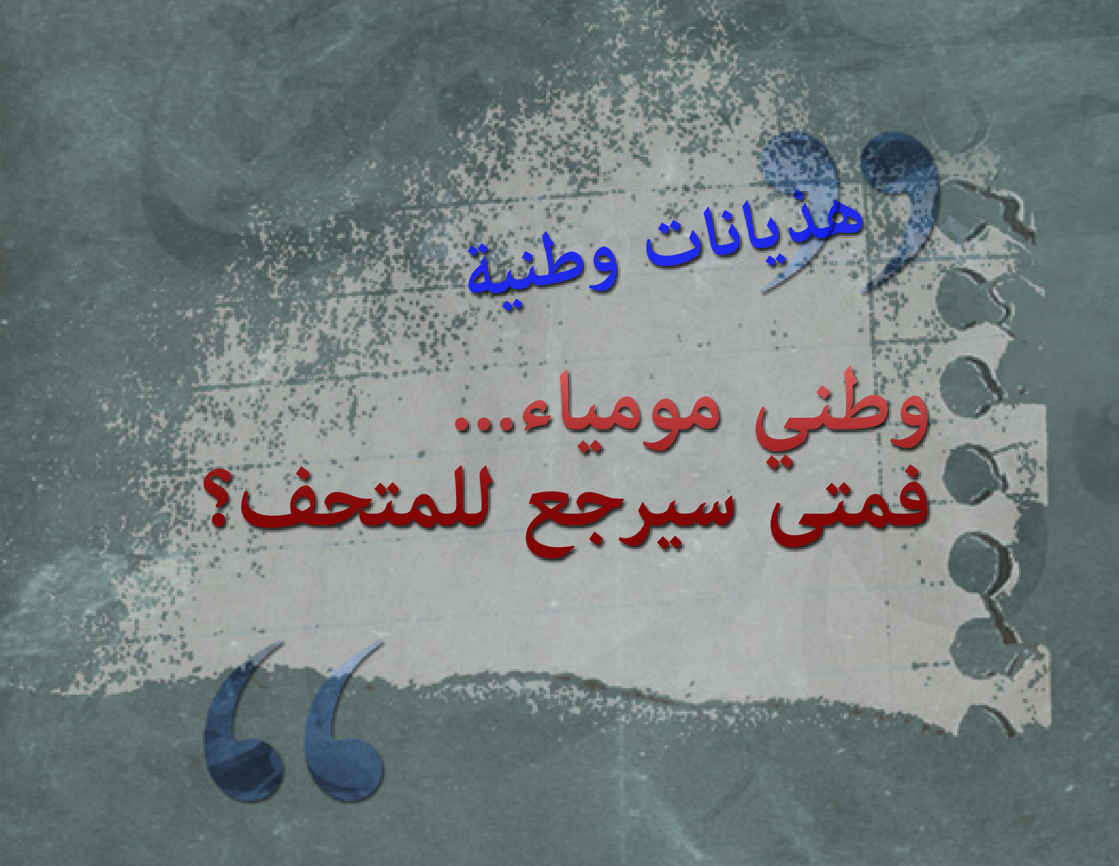
وكأي إدارة حكومية وجد أبوالعبد نفسه يشعر بالانكماش، بأنه آخر واحد في خارطة الوطن يعرف النظام، حين نظر إليه الموظف في مكتب الأحوال وأجابه بعد التمقل في سواد عينيه بأن عليه الاستدارة إلى الخلف والرجوع إلى القطيف حيث تنام معلوماته في الملفات هناك..القطيف إسم مكان، لكنها في البطاقة تصبح هوية، والهوية من الهاوية حيث يسقط المرء في حاوية الجغرافيا و التاريخ، كان أبوالعبد يطمع في هوية كبطاقة الصراف صالحة للسحب من كل الأجهزة، لذلك أخرج لسانه من غمده وراح يذكر الموظف الهمام بأن البطاقة التالفة كانت صادرة عن أحوال الخبر وأن جهاز المعلومات هو الجهاز، وأن الوطن هو الوطن، وأن البطاقة هي البطاقة، وهكذا شدد الحصار على الموظف الذي ظل يكرر...ولو...وإن..وحتى.

وعلى طريقة مرافعات حسينوه في درب الزلق التي تقول طالما السرير في بيتها فيعني أن البيت لها ، راح أبوالعبد يذكرهم بأنه يعمل في الخبر، ويشرب الشاي في الخبر، ويأكل الفلافل صباحاً في الخبر، وهذا يعني أن مكانه الخبر، وعنوانه الخبر، وبالتالي هويته الخبر، ففتح الموظف ذراعيه ورفع من نبرة صوته ليؤكد لهذا المواطن المسكين المعادلة صعبة الحل في صاد، وأن الأمر لا يطيقه إلا المدير العام أو مساعده، وأنه لو شاء الاختصار فعليه أن يأتي بصك البيت أو رقم تلفون ثابت ليثبت أنه من سكان كوكب الخبر.

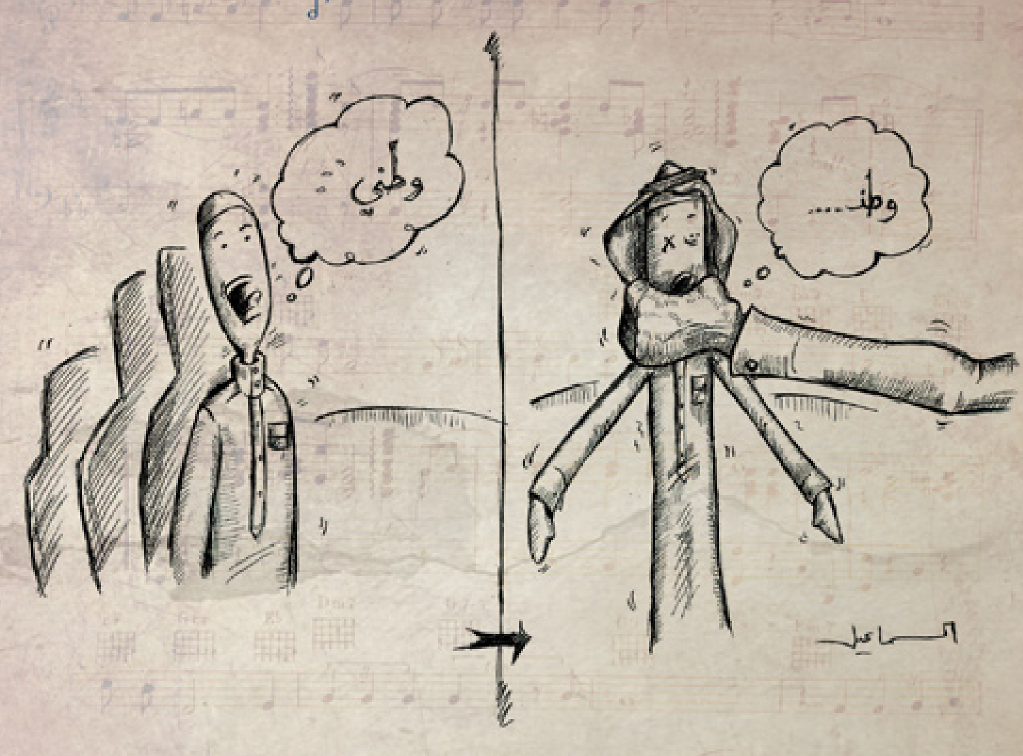


وكما قلنا الحرب سجال، والحوار قتال، لكنه انتهى بهدنة مفادها أن يأتي أبوالعبد بتعريفة تزكى بها روحه من جهة العمل، ليطمئن قلب الموظف الخائف على النظام، وحقوق الأنام، وأن يصدق الورقة في الغرفة التجارية، التي ستثبت بختمها أن تلك الشركة كائن حي يتنفس في سماء الخبر..فكان لهم ما كان، لولا تكالب الأحزان، ومقابلة الغرفة الطلب بالرفضان، تحت دعوى عدم تطابق التواقيع!!!.

أبوالعبد كان يخاف المسافة والمرمطة حين فكر في الخبز بدلاً من القطيف، خاف من الطوابير والجلوس بكير، وربما كان يخاف أشياء أخرى، لكنه في النهاية تأسى بسيرة هاجر وإبنها اسماعيل، وجد نفسه في صحراء المعاملات الحكومية يسعى رواحاً وغدواً بحثاً عن شيء من المؤكد أنه لا يشبه الماء، شيء يشبه الوطن، يشبه الهوية، يشبه المكان، والنتيجة يا سادة ياكرام أن البطل المقدام خرج في نهاية المطاف ببطاقة ممغنطة فيها وجه يشبه كل التعب، بطاقة لم يشأ مصدروها أن يكتبوا مصدرها الخبر فقط، كانوا كرماء في الوصف، فكتبوا إلى جوارها بين قوسين (جهة الحفظ القطيف)!.

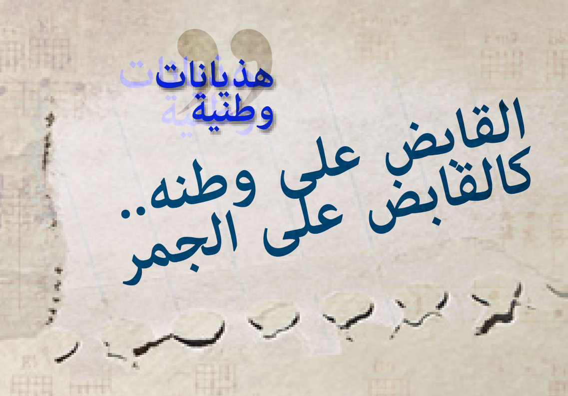


وطناً..يرسمه النشيد



النشيد الوطني طابور صباحي لأطفال لم ينحسر عن أجفانهم طعم النعاس، خلف ياقاتهم البيضاء تصدح حناجرهم التي ما سخنت بعد بأحلام الوطن وأمانيه..يرتعش الحرف على طرف اللسان ويبوح الجمع بأول درس على سبورة الوطن، سارعي للمجد والعليا، ويسرع النشيد في شوقه للنهاية: عاش المليك...تأخر الهتاف للمليك في نشيد الوطن بعد أن كان مفتتح النشيد القديم، ليتقدم الهتاف للعلا والنور والسماء

لكل وطن نشيد، هو الدرس الأول الذي تلقننا إياه المدارس، هو الواجب الأول لصباح الطفولة، هو محاولتنا الأولى للقبض على معنى الوطن، ستبدو صورة الوطن من صورة النشيد، فرغم ضيق المسافة بين النشيد والآخر، إلا أن كل واحد منها يعلب الوطن على طريقته، ينشر أحرفه على مرايا الناس، على صباحاتهم وعلى تاريخهم ايضاً.



فلو كنت طفلاً ينحني للعلم المغربي لكان قدرك أن تهتف للثالوث :الله والوطن والملك قبل أن تُسخن في روحك معنى الحرية والتضحية، ولو كنت سودانياً لانشغلت بتذكير العالم بالتحدي فهم يتحدون الموت بنشيدهم ويعلنون الاستعداد للتضحية، كما الحال في تونس التي يذكرنا نشيدها بقدرنا الدائم كلما كررنا «نموت نموت ليحيا الوطن» ، أما لو فتح الله نافذتك على مصر لأشغلتنا كل صباح بالتذكير بأنها أم البلاد ولها الفضل على كل العباد، أو ضيعك القدر لتكون من سوريا فستحمل شعار العروبة أبد الدهر.

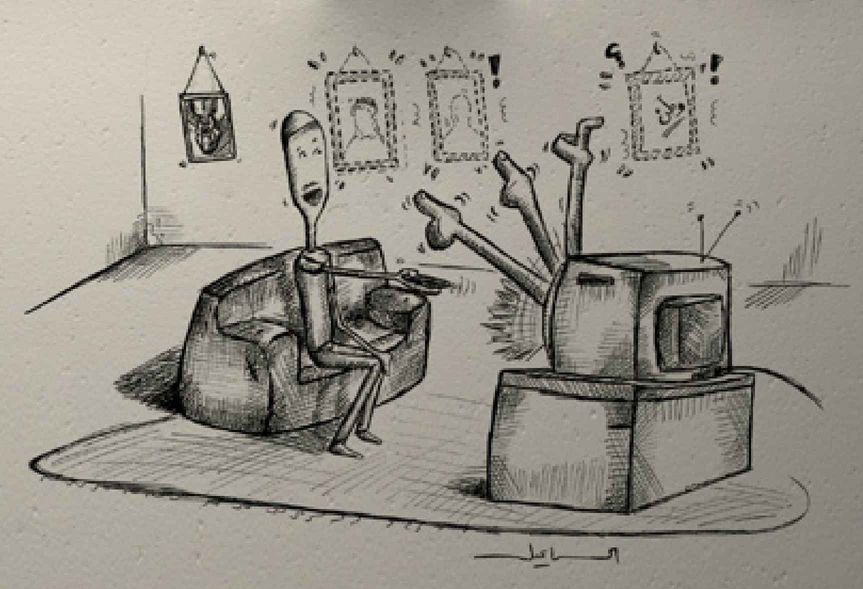
ستلملم أطراف الوطن لو كنت على تخوم الكويت حيث ينشغل النشيد بتمجيد الوطن، وسترفض المساومة عليه لو كنت لبنانياً يردد كل صباح « كلنا للوطن»، وستحلف بالحرية حين تسكن الروح في قطر، وستفتح باب قلبك لو كنت بحرينياً حيث يتناثر الكرم ويستريح السلام على حافة النشيد، وربما استمحت الوطن عذراً لو كنت عمانياً حيث الدعاء أولاً للسلطان «يا ربنا احفظ لنا جلالة السلطان»، وكذلك في الاردن « عاش المليك عاش المليك».

هذيانات وطنية

وطني.. ربيع الصحراء الذي لا يأتي

تلك الأناشيد التي تنتهي غالباً تحت قيمص الذكريات، سترسم للوطن شعاراته، أحلامه ، أوهامه، نلملم بها عناويننا وشوارعنا التي تحلم بالعلا، وهي المفردة التي تتكرر في أكثر الأناشيد الوطنية، تحلم بالعبور السريع إلى المستقبل، إلى التغيير الذي يأتي ولا يأتي، تحلم بالنور والزمن الأخضر، ليبقى النشيد الوطني في لحظة الغياب أول أوجاعنا.

جدران وطنية



ذات مساء مغبر كنت وزوجتي المصون نتسمر أمام التلفاز، نبحث عن فرجة بريئة تسرق منا الخوف من الغبار، وشقاوة الصغار، نسرح فيها مع خيوط الفضة في هذه الشاشة التي تشبه اللهاية أو السهاية، لأنه لا كلام على تلفاز، كنت أمسك بريموت جهاز التكييف محاولاً التنقل بين حقول البث، سامحوني لم أعتد منذ زمن طويل أن أتمدد قبالة هذا الجهاز، واذا أردتم الصدق فإني لا أعلم شيئاً عن ما يعرض فيه سوى خطابات السيد نصر الله لأنها ستحدد الجنبة التي ينبغي أن ننام عليها في هذا الوطن قبل أن تغسلنا الصحافة بمائها في اليوم التالي، وحكايات قناة الجزيرة "براعم" التي ينام فيها القمر ومرجانة وجوجو ونظيف نظيف والأباطرة الصغار كل مساء، وكان آخر مسلسل تابعته هو نهاية رجل شجاع، واعذروني لا أذكر أني صبرت على مشاهدة أي مسلسل بعده، أنا "وسيع بال" لكني شديد الولع بالحرية لذلك لا أقبل أن ياخذني مسلسل طولاً بعرض دون أن املك زمام التحكم فيه لأحركه إلى الخلف أو الأمام، Scroll Down and UP لذلك أتلهى ببعض الأفلام فقط على جهاز الكمبيوتر

توقفت بنا أزرار الريموت، ريموت التلفاز وليس جهاز التكييف طبعاً، عند أبواب القوة العاشرة، أعرف أن امريكا هي القوة الأولى لكن للأمانة لم تقع عيني من قبل على ترتيب القوى في العالم، أعرف ترتيب الطوائف في لبنان أيضاً، وترتيب الخلفاء الراشدين، وترتيب البلدان الأكثر جمالاً في العالم، والدول العربية الأكثر فساداً، غير أن القوة العاشرة لم ترد لا في الكتاب والسنة، ولا في اختراعات السيد نيوتن.. هناك اختصرت زوجتي حيرتي بالقول: القوة العاشرة تعني عشرة ملايين ريال.

«حصالات» الصبا كان مصيرها الكسر بعد كل عشرة ريالات لذلك لم نحظى بشرف اللقاء بالمليون فضلاً عن العشرة ملايين، وربما هذا ما يسمونه القصور الذاتي فيزيائياً، لذلك حاولت زوجتي أن تلخص درس الفيزياء بدعوتي للمشاركة في البرنامج وربح مليون على الأقل، فهي ترى فيني ركام كتب ساكن ويحتاج إلى كمية حركة تجذب له الحظ والمستقبل والمليون معاً.

كان البرنامج وقتها قد بلغ ذروته، نحن على مشارف المليون الأول، والسؤال يقول: كم نسبة العرب الذين صوتوا بأنهم يضعون صور رؤساء بلدانهم في بيوتهم؟..ابتسمت وأنا انظر إلى جدران البيت الصغير تخلو من أي شيء سوى الساعات، فالوقت هو الحاكم الأول والأخير، لذلك كنت أجد العذر لنفسي عن هذا التقصير، فكرت مرة أن أضع صوراً للموناليزا ولتشي غيفارا وعبدالرزاق بن عاقول، لكني لم أجد قوة تدفعني للحركة باتجاه تعليق صور رؤساء ومسئولين.

هذا السؤال الذي نال عنه الفتى السعودي اليافع مليون ريال وكاد أن ينال به العشرة ملايين لولا كتاب المطالعة المدرسي الذي ألهمه أن القناعة كنز لا يفنى، كان يصحبني منذ مدة ليست بالقصيرة وأنا أرى جدران البيوت في مدن القطيف وقراها تتحول إلى متحف للعمائم، تتزين بصور رموز الدين على اختلاف أحجامها، أتذكر معها أيام الصبا ومغامرات جمع صور رجال الدين المحرمة، يوم كانت صورة رجل دين ذي عمامة مكورة على صحيفة كويتية تكفي لوصولها منقوصة في تعداد الصفحات!!..

كنت مشغولاً في تأويل دلالات تلك الصور، الثقافية والاجتماعية والسياسية، خاصة وأن هذه العمائم أصبحت صورة مركبة من دين وسياسة مع تنامي حضورها في المشهد السياسي، لذلك هي تحمل إشارات بليغة عن المزاج الثقافي والسياسي لهذا البيت أو ذاك، حتى وإن كان دافع التعليق عفوياً كالتبرك والاستئناس بهذه الرموز، فهي بالمحصلة خلاصة تصورات ومواقف يحياها البيت في سيرته اليومية.

سمحت لنا الكاميرا التي تطوف بمناسبات البيوت المحلية، حفلات الخطوبة والزواج تحديداً، أن نحدق أكثر فأكثر في الداخل المجهول، وهو مجهول لأن تجربة التصوير لم تعرف الطريق كثيراً إلى هذا الحيز، لأنه محكوم بالخصوصية، وبالاعتبارات الاجتماعية التي لا تستسيغ تحويل الداخل موضوعاً للنظر..هناك شاهدنا أوضاعاً مختلفة لصور رجال الدين، أحجاماً متعددة، شاهدنا تعدداً في المزاج الفكري، تداخلاً بين تاريخ العائلة وتاريخ الدين الذي سيضيف إلى قائمة الصور رسومات تشبيهية لوجوه الأئمة الثلاثة: الإمام علي والحسين والمهدي والتي لا تفترق كثيراً في قسماتها تعزيزاً للتشابه في الإدوار بينهم.

ستشي كل صورة بأمنية، بذاكرة، بعلاقة، وسيصبح المكان بها مرايا لأكثر الأشياء ظلالاً في صفحة القلب، هي جدران مفتونة بسؤال الدين، ولوعة الفقد والغياب، فالحب لا يغيب حتى يحضر عبر هذه الصورة، لكنه محمول بالرغبة في الظهور للعلن كلما دفعت بهؤلاء الناس ظروفهم المحيطة إلى ساحة القلق على هوياتهم الدينية، وهو قلق لا نهاية له طالما تقاطعت كل الشوارع عند هذا العنوان.

هذيانات وطنية

وطني... بيت بلا نـــوافذ

كل الطرق تؤدي إلى السياسة حتى صور الحائط لكن من البلادة أن نسأل بائع الخضرة العجوز في حواري القطيف عن ولائه السياسي حين نرى صورة السيد الخامنئي معلقة في طرف الدكان، أو أن نحمل كل العوائل التي تحتفي بصورة السيد نصر الله بلا تذاكر في حافلة الولاءات الخارجية، أو أن نتنكب على قومية الشارع وصور عبدالناصر التي تسللت إلى البيوت قديماً، ثمة متسع للتأويل الذي يجعل قراءة الداخل مختلفة عن الخارج، قراءة الذين يسكنون داخل الصورة مختلفة عن الذين يطالعونها من الخارج.

نعم، هنالك صور ترتفع فوق الجدار في صورة تحدٍ، وأخرى في صورة خوف، وثالثة في صورة رجاء، ورابعة في صورة سراب وحلم، إلا أن مقاربة الصورة باعتبارها شاهد ثالث مع شهادة السيدين الرئيسين حسني مبارك وعبدالله بن الحسين على ظهور الهلال الشيعي، واستخدامها للقرعة في توزيع الناس على ملعب السياسة، هو سهو متعمد يوجب إعادة الصلاة، وإعادة التفكير في وظائف الصورة، ووظائف الناس الذين ملوا الإشارة إلى العابرين في الطرقات بوطنيتهم، فقد استبدلوا صور القطط المملوحات التي غطت جدران البيوت في أول موجة عصرنة.

هذيانات
وطنية

وطنـــي...

قصة قصيرة أقصر من اللازم

ووجوه الأطفال الباكية وكل المناظر الطبيعية التي استقرت أخيراً في محلات الحلاقة، استدبلوها جميعا بوجوه تذكرهم بالأمن الروحي الذي يبتغون!، ليبقى الوطن صورة لا يسعها إطار، ولا يحملها جدار!!.

نسيت أن اخبركم أن النسبة التي تستحق الإجابه عنها ١٠ ملايين ريال سعودي هي ١٨٪، أي أننا في الأغلب الأعم نجلس على ذات الرصيف الذي لا تحدد هويته صور الرؤساء!.

لا أستطيع السفر



"أتثاءب لكثرة ما أسندت ظهري لكرسي القراءة في هذا الصيف، غرفة استقبال الضيوف أصبحت ساحة للأوراق والقصاصات والكتب، هكذا تطايرت أيام الاجازة التي لا يبدو أنها على موعد مع السفر والترحال، جوازات السفر في صندوق داخل صندوق داخل صندوق لأن الدولة تحاصرني بتحذيراتها عند كل منفذ حدودي..جواز سفرك هويتك فحافظ عليها من الضياع..لذلك أنا لا أنام قبل التأكد من سلامة هويتي وهوية العائلة الصغيرة"

أين نذهب في هذه الاجازة؟..تسألني زوجي المصون وأنا أتجول بين الصفحات أو بين المحطات الإذاعية..أو فوق خرائط النت..كنت أقول لها..بأني مازلت ابحث عن مكان آمن للسفر..طلبت منها أن تحافظ على مزاج معتدل في ظل غياب مناخ معتدل في هذه البلاد...

أنا حائر...أقول لها وأنا ارغي كالسفن آب من شدة الحر..هذه الإذاعات لا ترحم..فنحن نعيش في زمن الشائعات..ما إن تحزم حقائبك لزيارة بلد ما حتى يتهمونك بأشد التهم..فكرنا سوياً مرات..ما أكثر البلدان الفاتنة على الخريطة..لكننا قررنا أن ننكمش كما انكمش الاقتصاد العالمي ونفكر في خيارات لا تجعلنا نعيش في بيجامة النوم!..أسقطنا أوروبا وأفريقيا والأمريكتين وكل دول آسيا البعيدة...أطفأنا المزيد من الأضواء وجلسنا نختبر ما تبقى تحت ضوء خافت حتى لا يشي بنا أحد قبل اختيار وجهة السفر...

لبنان..سوريا..تركيا..ايران..بلاد مثل السكر، الوصول إليها سهل، على الأقل ستحط بك الطائرة قبل أن تأخذك الحاجة لزيارة بيت الخلاء، وما أضيقها من بيوت، تجبرك على أن تقضي حاجتك نصف جالس ونصف واقف..شيء يشبه التأرجح في الهواء...سنصل قبل أن يخرق الأطفال الصغار بصراخهم طبلة الأذن..لكني هنا اعتدلت وكأن السماء تمطر فوق رأسي...قلت لا أستطيع..حر الله ولا حر الوشايات الإعلامية.. نعم..أسندت ظهري للكرسي وحاولت أن اتحدث بلغة السياسيين قليلاً..أنا لا استطيع زيارة لبنان في ظل موجة الانتخابات..لن يحميني ولن يحميك أن نلبس المايوة على البحر.

سيقولون بأننا ذاهبون لتقديم الدعم لحزب الله في الانتخابات القادمة...ألم أقل لك أن الإعلام لا يرحم..ما إن ترتفع الطائرة عن أرض المطار حتى تصل أخبارنا إلى صحف العالم...هؤلاء يا حبيبتي عالم مسكون بالأضاليل...لا تفقدي أعصابك..أقول لها مهدئاً...انظروا ما صنعوا مع وزير ثقافتنا الخوجة، ما إن نزل بهدومه إلى بيروت حتى قالوا بأنه قادم لتوزيع الريالات على ناخبي ١٤ آيار..زيارة قصيرة تكفي لتلطيخ ثياب الوزير المسكين بملايين الإشاعات..هؤلاء بلا ذمة!.

هذيانات وطنية

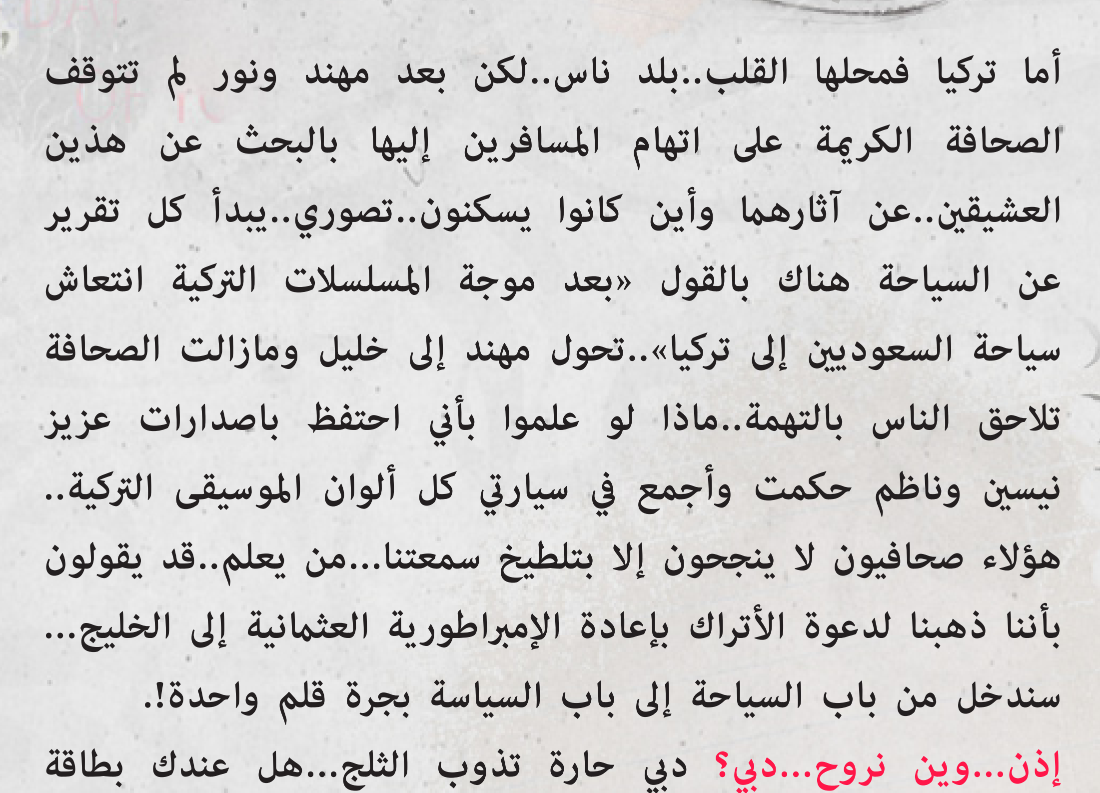
أبحث عن وطني في فنجان القهوة

إيران هي الأخرى مشكلة...من يضمن أن أحداً لن يخرج في الصحف ليقول بأني ذهبت لدفع مبالغ للملالي في قم...أو ربما سيدخلوني في معمعة الانتخابات..أرجوك..هذه قضية شرف..لن أترك لأحد فرصة ليقول أني ذهبت لإعطاء البيعة لنجاد أو مير حسين..نعم..فهناك ممن يلبسون الكرفتة في الليل والشماغ في النهار لا يشكون أن إيران تقف على حدود قلب من هو من لوني ولونك..مهما قلت بأني أحب من ايران الفستق والموسيقى فقط..سأظل محكوماً ببيع الوطن في مزاد الولاءات..

لم يبق من القائمة إلا سوريا وتركيا..بلدان جاران..لكن الأول كثير الكلام علينا في مجالس الدنيا..نتقدم منه خطوة ونبتعد بعدها خطوات.. لا أستطيع أن احافظ على توازني هناك طالما ظلت العلاقة بين هذا البلد ووطني علاقة شهيق وزفير..أخاف أن تسول لاعلامي جبان نفسه ويقول بأني ذهبت للتآمر على فريق الاعتدال العربي..المتسولون في الظلام كثر يا حبيبتي..نعم..أنا لا اطيق سين جيم التحقيقات الصحفية حال رجوعي والاتهامات على ظهري.

هذيانات وطنية

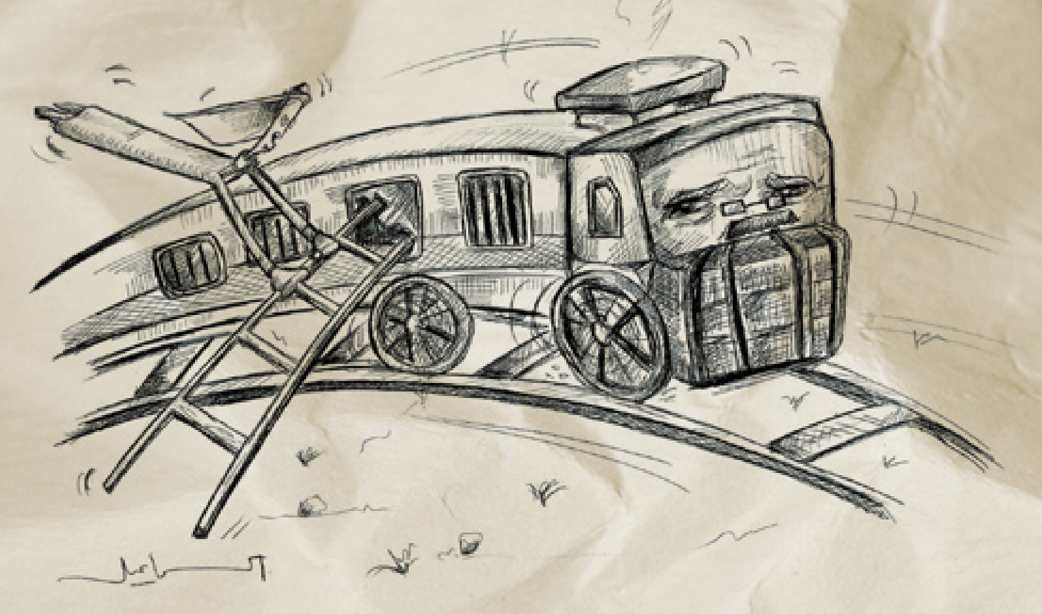
أيها الوطن العطشان...
أحلم بنافذة مبللة بالمطر



أما تركيا فمحلها القلب..بلد ناس..لكن بعد مهند ونور لم تتوقف الصحافة الكريمة على اتهام المسافرين إليها بالبحث عن هذين العشيقين..عن آثارهما وأين كانوا يسكنون..تصوري..يبدأ كل تقرير عن السياحة هناك بالقول «بعد موجة المسلسلات التركية انتعاش سياحة السعوديين إلى تركيا»..تحول مهند إلى خليل ومازالت الصحافة تلاحق الناس بالتهمة..ماذا لو علموا بأني احتفظ باصدارات عزيز نيسين وناظم حكمت وأجمع في سيارتي كل ألوان الموسيقى التركية.. هؤلاء صحافيون لا ينجحون إلا بتلطيخ سمعتنا...من يعلم..قد يقولون بأننا ذهبنا لدعوة الأتراك بإعادة الإمبراطورية العثمانية إلى الخليج... سندخل من باب السياحة إلى باب السياسة بجرة قلم واحدة!.

إذن...وين نروح...دبي؟ دبي حارة تذوب الثلج...هل عندك بطاقة للملاهي في مجمع الظهران...؟

أنا وَ وزير
الخارجية والمواطنة



«آخر مرة سافرت فيها بالقطار صحبني فيها وزير خارجيتنا الأمير سعود الفيصل، كنت عائداً من الرياض في زيارة تاريخية، وتاريخيه هنا لأنها لا تحدث إلا مرة كل خمس أو ربما عشر سنوات، اخترت أن أجرب هذا القطار الذي كثيراً ما نسمع عنه ولا نحظى بركوبه، نراه ولا نعرف ما فيه ومن فيه، اقتطعت تذكرة على درجة "رحاب" وهناك صادف أن رأيت الأمير على صفحات مجلة الدبلوماسي التي تمنح مجاناً لأولئك المسافرين الذين لا يجدون ضراً أن يدفعوا الكثير لينالوا بضع سنتيمترات زيادة تفصلهم عن الآخرين»

لم يكن لي سابق عهد بالمجلة، لذلك حرصت على مطالعتها من الجلدة إلى الجلدة كما يقال، بدت مجلة أنيقة في تبويباتها وألوانها وكل أفعال التنسيق التي كانت كافية لحمل القارئ على الاستمرار في تقليب صفحاتها..وجدت الأمير مشغولاً بكتابة افتتاحية المجلة التي عرفت بعد طي الصفحة أنها تتبع وزراته مباشرة..كان ذلك في منتصف شهر مارس من العام الماضي وكان الحديث منصباً على مسئولية المجتمع الدولي الأخلاقية في الوقوف مع الشعب الفلسطيني ودعمه لنيل السلام مذكراً بعطايانا السخية وصناديقنا المفتوحة لأجل تنمية هذا الشعب.



الوطن ليس بحاجة الى مهاجمين
ولا مدافعين، ولا حرّاس....بل بحاجة
إلى قرار

غادر الأمير مع انتهاء سطور الافتتاحية، وهناك بدأت فواصل من عناوين إخبارية سريعة، تبعتها ملفات ودراسات ومطالعات لا تخلو من الجدة والرصانة..الفلسفة والسياسة بين الفارابي وهيجل..الإرهاب الرقمي..الأجندة السياسية لتغيير المناخ العالمي..التغيرات المناخية هل تصبح سبباً للنزاعات السياسية..وأحاديث أخرى متنوعة تقترب من أجواء الأدب كهواجس التعريب وحوار مع إبن المبارك شاعر هجر وتعرض لقضايا التربية أيضاً.

ما شغلني طيلة الوقت في هذا المشوار الطويل هو دراسة عن تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي، ربما لن أجد حماسة لمطالعتها لولا الرغبة في تصريف الوقت..فصحافتنا المبجلة لم تبرح تتحدث عن المواطنة وتربطها بكل شيء..مثلها مثل الهوية..العولمة..وباقي طلاسم المشهد الاعلامي عندنا..



الوطن كالغوص..
يحتاج الى نفس عميق

سيصبح كثرة الحديث عن المواطنة سبباً في إضاعتها بين القبائل، فهي سفينة نوح كما يريد لها سليمان عبدالمنعم، وهي درس نقرأه في دفاتر الجنادرية على ما تقترح ثريا العريض، وهي المشاعر الفائضة للمواطن في العيد الوطني كما يحلم شتيوي الغيثي، وهي نقد السائد كأرقى صورها بمثل ما يقرر عبدالعزيز الصاعدي ، وهي المساواة التامة بين المواطنين كما ينظر يوسف مكي، وهي إيمان بالتعدد والشراكة كما في قول يحي الأمير، وهي المفاعلة والمشاركة في بناء الوطن كما عند سعود البلوي، ووو...هذه جردة حفنة روابط إلكترونية وعليكم باقي الحساب.

في مجلة الدبلوماسي كانت الدراسة المزبورة أكثر رصانة وأكثر دقة ...دراسة لا كاتب لها، لكنها ذهبت بعيداً في التفتيش عن تمددات هذا المفهوم أفقياً وعمودياً..همس الكاتب المجهول في أذني بصراحة حين قال: «ليس هنالك مجتمع مدني دون مواطنة، ولا مواطنة دون ديمقراطية حقيقية، ولا ديمقراطية حقيقية دون مواطنين بمعنى الكلمة يمارسون وينظمون على أساسها علاقاتهم مع بعضهم بعضاً من جهة، وعلاقاتهم مع الدولة من جهة أخرى..تلفت يميناً ويساراً وتنفست بعمق وأنا اتهجى العبارات مرة بعد أخرى...تمنيت لو أن الأمير كان موجوداً معي في هذه الصفحة لأقترح عليه نقل خدمات المجلة من وزارة الخارجية إلى وزارة الداخلية.

هذيانات وطنية

يا وطني...
افتح ابوابك لأصلي لك

تابعت القراءة..وصاحبنا الكاتب المجهول مازال يصف أحوال المواطنة في الفكر الغربي، ويتحدث عن المشوار الشاق الذي مر به المفهوم قبل أن يتبلور في صورته النهائية، وفي خاتمة الدراسة وضع سلماً للقراء.. يحددون من خلاله موقعهم من خارطة المواطنة..ذكرنا بأن هنالك مستويات من المواطنة..

يعني أشياء تشبه درجات القطار السعودي..وهي تختلف باختلاف أشكال ممارسة السلطة..سأسرد لكم درجات السلم التي تختصر مفهوم المواطنة عملياً من عند صاحبنا الكاتب الذي لا يخفي نكده من النطنطة بين تلك السلالم لدى الأنظمة الديكتاتورية:

المستوى الاول: سلطة بقرار فردي

المستوى الثاني: إعلام الجمهور بالقرار دون أخذ رأيهم

المستوى الثالث :اسشارة الجمهور دون الأخذ برأيهم

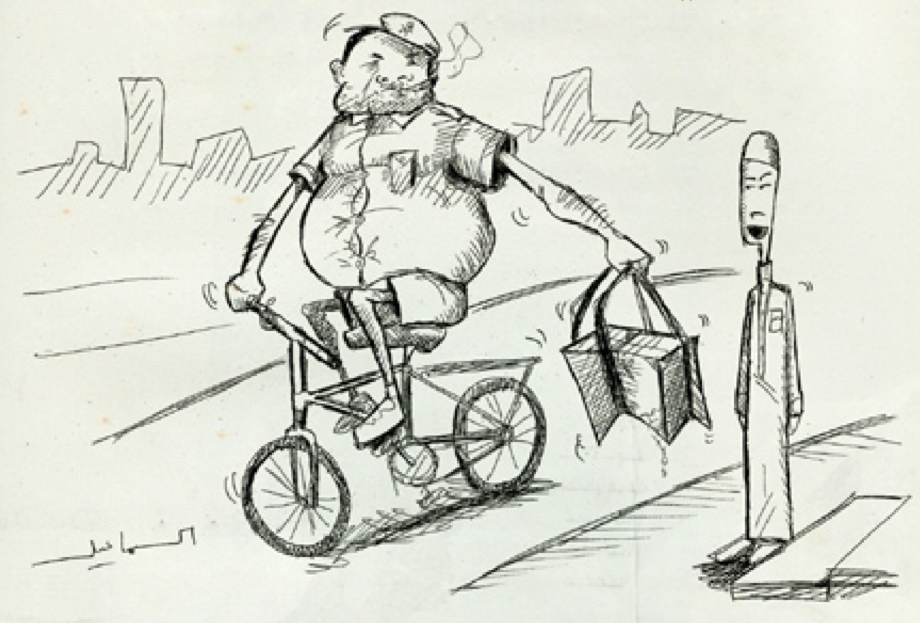
المستوى الرابع: استشارتهم والأخذ برأيهم

المستوى الخامس: اشراكهم في مواجهة القضايا وحل المشاكل

السادس: وجود سلطة اتخاذ القرار في يد عامة المواطنين وفق آليات الديمقراطية

وكما يجري في استفتاءات الفيس بوك وامتحانات الشخصية التي يبتكرها مرتادوه، يمكننا أن نختبر صورة الوطن على سلم المواطنة.. ونحدد أي صورة يشبه...طبعاً لن تكون صورة الوطن مقاس ٦*٤ كما يؤكد صالح الشيحي، لكنها حتماً صورة ملونة من أي مقاس كانت!

يسألونك عن البريد في الزمن العتيد



«ساعي البريد شخصية لا نعرفها إلا في أفلام الكرتون أو الأفلام الكلاسيكية، أو كتب المطالعة، أخبرونا أنه يركب دراجته نهاراً ويوزع الغلة اليومية على صناديق الناس بالقرب من منازلهم، غير أن البريد الذي نعرف والذي نألف في تلك الأيام لا يجاوز مكتباً يقصده الناس لفحص صناديقهم، طوابق وأزقة تختصر خارطة البلد الصغير، إضافة إلى بقايا صناديق مهملة في بعض الزوايا لتجميع رسائل المرسلين، ولا أذكر أني نجحت مرة في إيصال رسالة واحدة منه إلى مجلة ماجد وقتها»

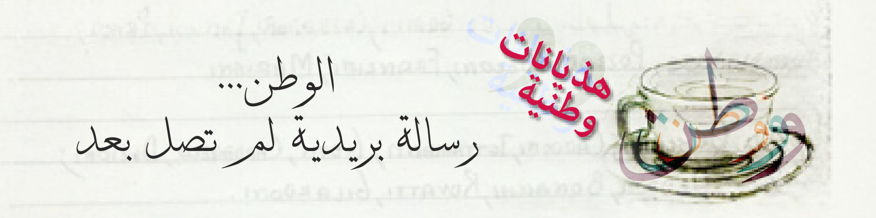
BY AIR MAIL
PAR AVION

لكني كنت دائماً أحترم شخصية ساعي البريد، أتخيله في قوام رشيق وصبر لا نهاية له على كتم أسرار الناس، بيده مفاتيح كل الأبواب المغلقة لكنه يؤثر أن يترك الرسالة أو الطرد سليماً إكراماً لعين مستقبليه، طبع الفضول يبدو وكأنه جزء من اختصاص أهل البريد إلا هذا الرجل المتخيل، أتحدث عن زمن ولى كنا نعد الايام بانتظار رسالة من هنا وأخرى من هناك، كل رسالة لا شرف لها -ولا مؤاخذة- فهي تحمل بصمات لا عد لها قبل أن تحط في محطتها الأخيرة، سيعالجها المقص والسكين والأسنان أحياناً لأجل الكشف عن المخبوء في الداخل، رسالة أو كتاباً أو قطعة ما، قدرها أن تقلب على بطنها وظهرها قبل أن يؤذن لها بالإنصراف.

وكأي رجل شجاع في زمن جبان، كنت أتخيل رجال المباحث والشرطة والهيئة وحارس المدرسة وكل واحد له سلطة سيتكئ على الأريكة ويقرأ أي رسالة تصل، لذلك كنت أراسل اذاعة طهران بإسم مستعار، واذاعة هولندا بإسم مستعار آخر، حتى رسائل من قبيل «السلام عليكم» تحتاج إلى تشفير، فنقاط التفتيش المتخيلة لا تبقي ولا تذر، خارجاً كان المرسَل أم داخلاً، وحدها عائشة عبداللطيف في زحام الإذاعات تعرفني بالإسم، وهذا إدعاء طبعاً لا تصدقوه، فهي تعرف إسمي لأني أوقع به لا أكثر، فالأخوة من الأحساء لم يتركوا إسماً لأحد في برنامجها «استراحة الظهيرة»، حتى لكأن البرنامج فاصلاً في فسحة مدرسية داخل الهفوف!.

BY AIR MAIL
PAR AVION

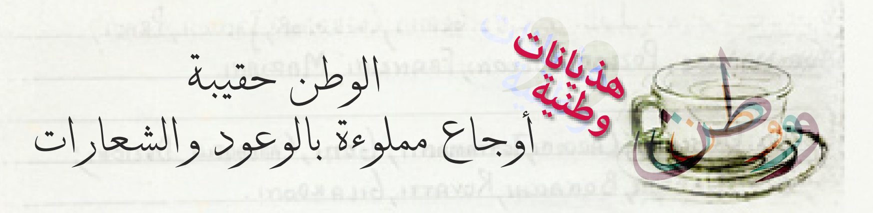
كنت مهوساً في تلك الأيام باقتطاع أي إعلان بالصحافة يدعوك لاستلام مطبوعات مجانية، وكم غمرتني السعادة مرات حين كان بريد العائلة يمتلئ بالرسائل، وكلها دعايات لا تغني ولا تسمن من جوع، غير أنها تغني البريد للأبد، فما إن تحرك المقص وتغلق المظروف حتى يباع عنوانك البريدي في حراج الدعاية والإعلان الدولي، وهناك لن تجد وصفاً مناسباً لبريدك إلا هذا الوصف المستحدث مع دخولنا إلى عهد الإنترنت : جنك ميل!.



الخوف دائماً سيد الموقف، ولو، فمحدثكم ثوري بمحرك أربعة سلندر، والخوف عند الثوار هو قرين التكتيك والتمويه، لذلك ما إن وقعت في يدي كاتالوجات المكتبات الحرة في لندن حتى انتفضت فيني كل قيم العالم الحر، أريد أن احتضن أي كتاب ممنوع، طبعاً من دون كلفة لا طاقة لنا بها، تودي بنا إلى مهاوي التحقيق!.

وسوس لي شيطان القراءة ذات مرة أن أطلب عدداً من إصدارات أحمد مطر من دار الساقي، وصلت الإصدارات بحفظ الله وعنايته فقلت لعلها خدعة!!،

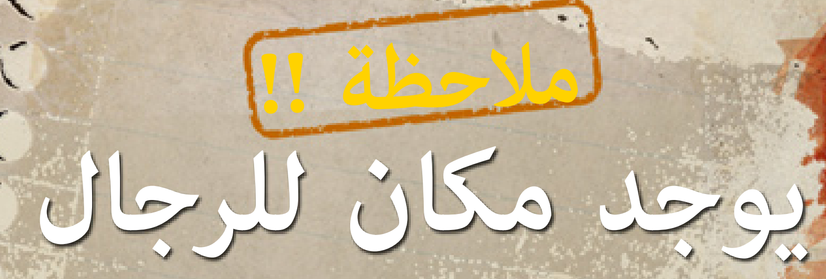
يريدون مراقبتي بهذا الطريق، فجربت أن اطلب بإسمي هذه المره، واخترت نصوصاً مسرحية، أحدها لحبيب صادق عبارة عن نصوص مسرحية إذاعية والثاني بعنوان «صحفيون للبيع» لم أعد أذكر إسم كاتبه لأني أضعت الكتاب لكثرة ما خبأته وأبدلت في مكانه وسأحكي لكم السبب.



وصلت النصوص المسرحية، وسعادتي كسعادة ريمي وهو يلتقي بأمه، نظرت إلى حال الطرد البريدي الذي فر الكرة الارضية وهو يقطع الطريق من لندن إلى الدمام، ورحت أتصفح الأوراق اتأكد من سلامتها. الكتب في صحة جيدة، غير أن «صحفيون للبيع» الذي طبعته دار الوفاء -ولا أحسبها إلا إسماً وهمياً - هو نص مسرحي يعرض لمحاكمة افتراضية لرؤساء تحرير الصحف السعودية على تغطياتهم لأحداث الحج التي تضمنت مواجهة بين الحجاج الإيرانيين ورجال الأمن السعودي وراح ضحيتها عدد من أولئك الحجاج على خلفية ما يسمى تظاهرة البراءة من المشركين.

أغلقت النوافذ عندها والأبواب، وحاولت ضبط إيقاع نبضات القلب الذي تعجل في الاستجابة لمخاوفه القديمة، وبدأت القراءة قبل أن يذهب الكتاب إلى مهاوي النسيان، وقبل أن تتكاثر خيالاتي كالأرانب حول ما يمكن أن ينتهي إليه حيازة هكذا كتاب!.

فالسلام على بريد زمان.





"لأن الأصل في الأشياء الفحولة، يصبح إدراج الأنوثة في جدول الفعاليات والمناسبات نوعاً من التسامح ومن الفضل، ولا تخلو في أحيان من المباهاة والفخر، فهذا الكائن الملحق على خارطة الوجود الإنساني سيجري الاعتذار له على طريقة لا تنسيه تلك التراتبية الجندرية، نسبة إلى الجندر المستصحفة من الجدر العربية، وهو ما يجمع فيه الطعام! فالمكان الطارئ الذي سيخصص للنسوة سيجري التنويه له دائماً ضمن زاوية صغيرة من زوايا الإعلان، في **الهامش منه،** ليتساوى المكان في الواقع مع المكان في الإعلان"

سنوات مرت على هذا التسامح، غير أنه لم يدفع المعلنين إلى اختصار المسافة والدمج في الإشارة إلى توافر مكان للجنسين، ستصبح يافطة التنويه في هامش الإعلان وكأنها ضمن مفردات التصميم، إلى الحد الذي تحسبها وردت سهواً عن غير قصد، لإتمام هوامش التصميم وليس هوامش المناسبة.

«يوجد مكان مخصص للنساء»..هكذا يتسع قلب المكان المذكر ليحتمل هامش العباءات السود، حتى الملاحق الدائمة للنساء في الأندية والفعاليات الاجتماعية والثقافية تستوجب التذكير بهذا الوجود الطارئ، فليس الأصل فيه الديمومة، لأنه رهن الحدث، ورهن أعراف القائمين على صناعة المشهد الثقافي والاجتماعي.

ولأن الأصدقاء مراجيح فرح على رواية الجفال، سيتمرجح القوم الباحثون عن حقوق المرأة في عتمة الليل على أطراف هذا التنويه باعتباره انتصاراً لحقوقها التي شردت مع الريح، سيقسمون المكان، ويجمعونه حتى يتسع كما اتسع الإعلان لخطو أحذيتهن ساعة يمشين إلى فسحة لا تتسع لهم دائماً...سيهندسون لها وجودها بحسب الأعمدة التي تركها مهندس البناء في ذلك المكان، وليس ضرورات الحدث، سيعتلي الرجال عشة الحمام فيما ستمضي إلى القبو كما في النادي الأدبي بالدمام، وسترتفع إلى الشرفة حين يمضي الرجال إلى احتلال كل المكان في مركز الملك فهد الثقافي وستبحث لها جمعية الثقافة والفنون بالدمام عن فاصل خشبي تتناصف فيه المكان مع الرجال بالتساوي، حيث يتاح لها المساواة في النظر والجلوس والوقوف من دون أن تقع في شبهة الاختلاط على طريقة خلاط مولينكس.

الطريف أن بعض الإعلانات تعلم أن لا جاذب للناس فيها، فضلاً عن النساء وأنها تطمع فقط بأن يحول رب العائلة جولته من السوق إلى حدثها المهم ولن يكون ذلك إلا بتوريط العائلة بكاملها للدخول من ذلك الباب الموصد الذي سيورط النساء غالباً بصمت الجدران، والتمدد في فراغ هش، تقاطعه بعض الميكروفونات التي تسأل : هل هنالك أسئلة في الجانب النسائي؟!!

هذيانات وطنية

لكل وطن...خسوف

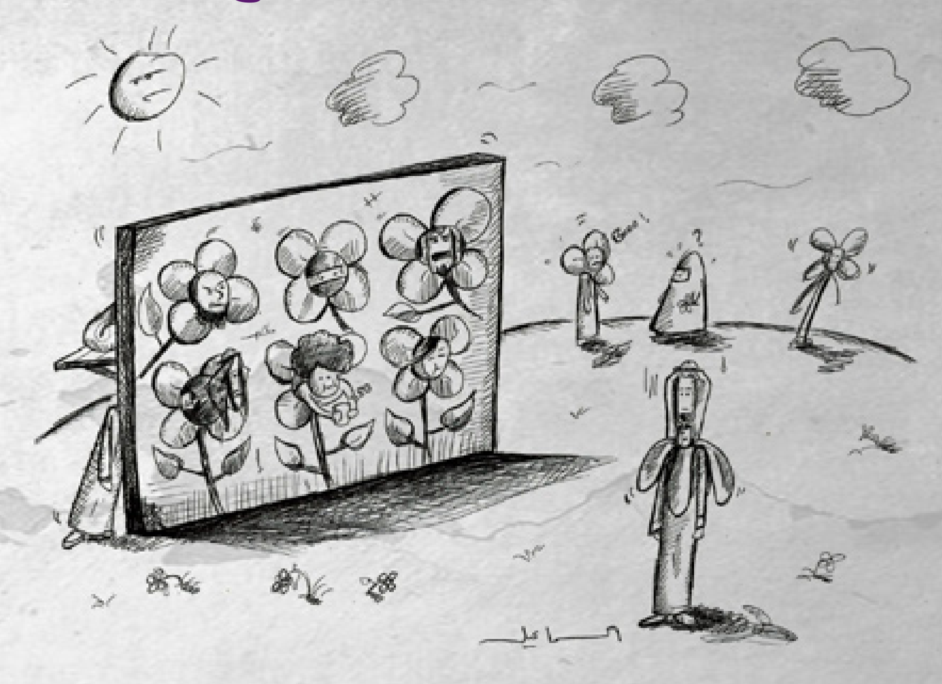
للرجال فقط..للنساء فقط..لا يهم..المهم أن نكف عن تذييل إعلاناتنا بهذا الهامش، وندخل المرأة إلى المتن، ويصبح الهامش مخصصاً للتنويه فقط وفقط بأنه: لا يوجد مكان للرجال..مع الاعتذار!.

هذيانات وطنية

بحاجة إلى حملة وطنية للتبرع ... بالحقيقة

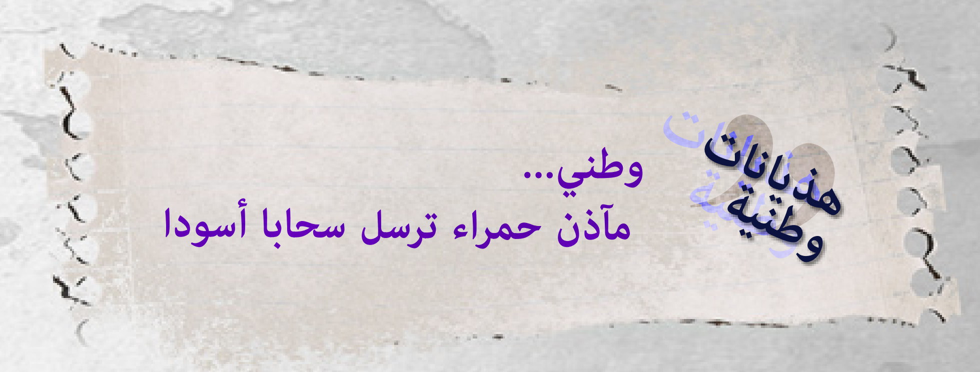


زهور بلا رائحة..
و وطن بكل الروائح



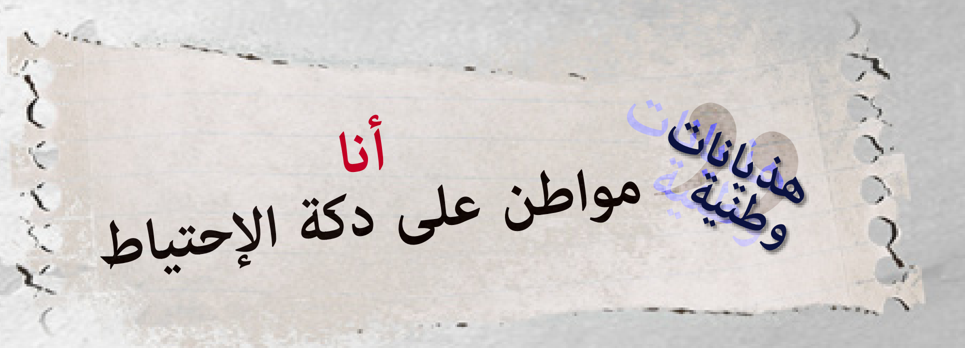
«الناس في هذا الوطن كالأزهار، متعددون، متلونون، روائحهم شتى، منهم من تتفتح مسامات روحك لرؤيتهم، ومنهم تتفتح كل جراحات التاريخ ساعة يعبرون، تلك سنة الله في الأرض، أناس كالأقحوان، أشبه بالمضادات للكآبة، منهم البنفسج والأحمر والأبيض، وأناس كالأفيون، لهم طعم مر، يتدهور بسببهم عقل الوطن وتفكيره»

تذكرت هذا المعنى وأنا اطوف بمعرض الزهور والبيئة في الواجهة البحرية بالدمام قبل أيام، حملت العائلة في كشتة شمشمة، نختبر فيها قدراتنا على الشم بعد أيام من موجات الغبار التي طمرت فينا إحساسنا بالروائح الزاكية، كل ما في المكان يوحي بأن الإجازة المدرسية قد بدأت قبل وقتها، كانت الشمس قد غسلت عينيها استعداداً للغروب، والناس يتربعون في كل شبر وزاوية، بين لاعب للكرة، وعازف للناي، وشارب للشاي، كل ترجم العشب الأخضر إلى لغته، وأنا وآخرون كنا نصعد إلى حيث معرض الزهور.



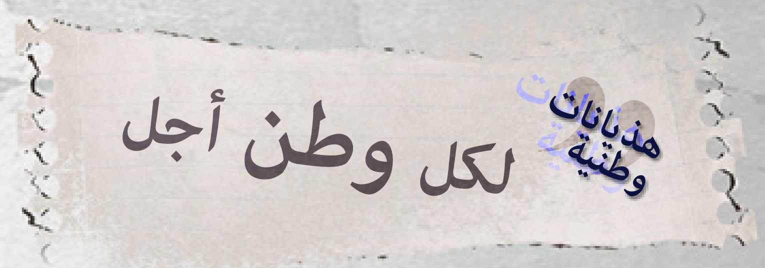
كنت أحسب معارض الظهران الدولية وحدها من تجيد تجميع كل شيء تحت أي شيء، فلا يهم العنوان، لأن المعرض للجميع، ستقرأ عن معرض للصناعات الحديثة وحين تصل ستجد باعة الفستق الإيرانيين وباعة الزيتون السوريين وباعة الثريات التقليدية من المصريين، وطابور طويل من الملابس التقليدية!!

وإذا ما سمعت عن معرض المنتجات الإستهلاكية، سيصطادك نفس العارضين ونفس البضاعة، وإذا كنت شجاعاً وركضت إلى «معرض الخليج الدولي»، ستنعم برؤية من رأيت، وستكمل ما نقص من احتياجات البيت من الفستق والزيتون والصابون والملابس التقليدية!!، وهكذا حتى تطول قائمة الإنجازات.



ومعرض الزهور الذي خلا من الروائح، كان مشتلاً زراعياً كبيراً، لا جاردينيا ولا روز ولا تلك الأماني التي حملتها زوجنا المصون وهي تطوح بعينيها في اتساع المكان، لكأنهم أرادوا إخبارنا عن مصادر الزهور التي تزين بها الشوارع العامة فجاؤا بأهلها إلى هناك، ولأن البيئة دخلت في العنوان، صار ممكناً أن يلحق بالمعرض قسم للأفاعي والأرانب والفئران، وقسم آخر اشتبه على المنظمين علاقته بالزهور وهو قسم العطور الحديثة منها والقديمة.

تركنا الزهور التي في الأعلى، ونزلنا إلى حيث زهور الوطن، وضع إبني علي يده فوق الدكة ينظر إلى زرقة البحر، ووقفت أقرأ ما كتب العابرون من هناك، عبارة لها رائحة المواخير الليلية، تحدثك عن زائرين من طينة الدواب التي تحسب بعرتها زينة فلا تترك موقعاً دون أثر!، تقدمت قليلاً وأنا أحدث الصغير عن جمال نافورة للمياة لا تعمل، فوجدت يافعين جاوزا العشرين يتبادلون المحاولة تلو الأخرى لرمي أحدهم في بركة الماء، حارس الأمن ينتظر النهاية، وآخر يراقب بالجوال، وأنا أخشى أن يحفظ الأطفال مشهدهم إياه.



ولأن الوطن للجميع، وجدنا أحد الاطفال قبل بلوغنا خط النهاية يعتلي قمة مجسم جمالي، رفعت فوقه صورة أمير المنطقة، يحاول الصمود بقدميه الحافيتين ليقف عند أبعد نقطة، غير أن دورية الأمن الخاصة بالبلدية، كانت في انتظاره، لتكون آخر لقطة في مشهد فاض بالزهور لهذا الطفل وهو يدفع بالقوة إلى سيارتهم حيث فاصلة من فواصل التأديب!.

نعم، هنالك أزهار تبعث على الراحة، وهنالك أزهار تبعث على التحسس والوطن للجميع.

رفقاً بالموتى..رفقا بالأحياء
يا أرباب الميكرفونات



«للموتى أصدقاء ، كانوا يلونون بهم دفاتر أيامهم، لهم طراوة في الحضور، وكؤوساً من الشوق في ساعة الغياب، لذلك يختلط الناس وهم يؤازرون بعضهم وأهل الفقيد في رحيل من اختاروه عنواناً للصداقة، يستفيضون في التذكر بمقدار ما انبسطت أرواحهم في لحظات التلاقي والتواصل على أطراف الحياة»

لن يكون الميت أكثر سعادة من أن يستقبل أصدقاءه بما يليق حتى في مماته، أولئك الذين يقطعون المسافة ليزرعوا زهرة في مشهد الحزن، ليلهجوا بالدعاء له، والترحم عليه في مجلس العزاء، يعقدون أشواقهم حرزاً على قبره الذي سيغدو سرير نومه الأطول.



أستدعي هذا المعنى وأنا استبدل جلستي مرة بعد أخرى في وسط مجلس عزاء، استسلمنا فيه لخطيبنا المفوه، حيث جرت العادة أن يقيم أهل الفقيد قراءة حسينية في أيام العزاء، إلى جانب ختمة القرآن التي يدعون لها القراء من أبناء المدينة..المكان في تفاصيله لا يقل حماسة عن الخطيب، فخلف المنبر مباشرة قماشة خضراء طويلة كتب عليها «علي ولي الله» وفي امتداد الجدران آيات وآذكار تشير إلى فضل أهل البيت، فضلاً عن اللفائف السوداء التي تغطي الأعمدة المتوزعة كواحدة من إكسسوارت عاشوراء.

كنت أجلس إلى جوار اثنين من المعزين من خارج المنطقة، من خارج المزاج واللون والطائفة، وكان الخطيب وقتها قد أمطرنا بسرد ظلامة أهل البيت، بالتذكير باغتصاب حقهم، والاستخفاف بمقامهم، كنا نتنفس هواء الصراعات الطائفية في كل جملة، في لعلعة المايكرفونات، والميت من المؤكد أنه في شوق للوصول إلى قراءة الفاتحة، بمثل ما كانت في شوق ليطفئ أحد ذلك الجمر الذي لا يكف الخطباء عن إلهابه حتى في مناسبات الموت، مناسبات لا يصح فيها التذكير إلا بأننا ماضون إلى رب رحيم، رب شاء لنا أن نختلف منذ بداية الخليقة.

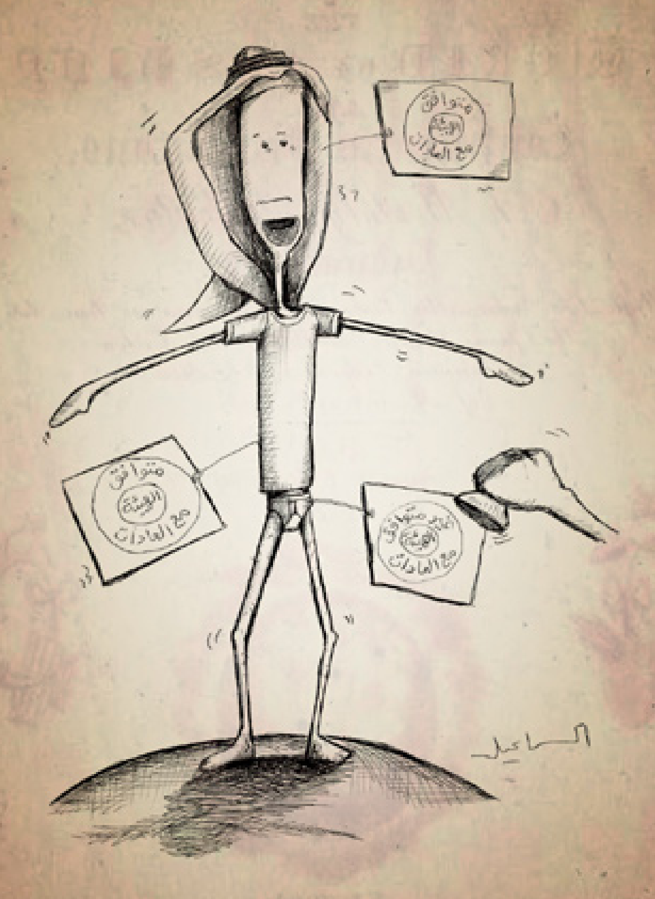
أنا من وطن
لا يغادره الغبار

هذيانات وطنية

الخطيب كان يتباهي في إبكاء الجموع، في حملهم على بساط الزمن إلى محطات فائضة بالحزن، فيما كنت لا أجد ما أبكي لأجله إلا هذين الضيفين اللذين خجل من حضورهما الميت ولم يخجل ذلك الحي من تلقينهم درساً غير مستحق، وهو يذكرهم بأن فيض المشاعر لن يكفي لسداد مستحقات الماضي التي تسكن في حساب كل مخالف.

خرجت بعدها، وخرج الناس، وبقي الخطيب أطال الله في عمره يحضر سطوراً لمعركة أخرى على هامش جنازة منذورة للتنازع.

وزارة للملابس الداخلية



"رجال الهيئة بحسب تقرير قناة الإقتصادية أناس عاديون، بل "فوق عاديون" فهم يكثرون الابتسام، ويأكلون الطعام، ويبادلون ضيوفهم القهوة والتمر والاحترام، النزهة التي قضاها فريق القناة في سوبربان الهيئة شاءت أن تكون على طريقة دعايات الشامبو، فالمجتمع الذي يعاني من تقصف في خصلات الأخلاق ليس له إلا مخلوط الهيئة نصح وتوجيه وتوقيف إن لزم الأمر"

ولأننا لمن نخلق في خلاط مولينكس، تحرص الهيئة على أن لا يختلط الناس في الأسواق، ستصبح الفراغات بين الأكتاف في ممرات المجمعات مادة للمراقبة، وسيصبح الظن واليقين سيان لحظة الخوف من تشابك ما هو أعظم، كالأيادي والرؤوس، حتى باربي وسبايدر مان عرضة للتحقيق إذا ما إختلطوا على أرفف المحلات، فهم يعلمون كل العلم أن في الاختلاط غياب للأصل، وخروج عن مبدأ الفصل، ومحو لما تبقى من سطور التاريخ.

هذيانات وطنية

الوطن...بوتيك للقمصان الرخيصة

شاهدتهم في القريب يوقفون شاباً، يناصحونه في أحد المجمعات، كان إبني علي ذو الثلاث سنوات ينظر إليهم كما ينظر أباه ليسألني: من هؤلاء؟..قلت في نفسي أن الشرطي سيعرفه جيداً إذا التحق بالمدرسة فهناك يعرضون صورته ويقولون: هذا شرطي، أما عن رفيقيه فلا أعلم إن كانا أدخلا ضمن المنهاج أم أخذهم التواضع إلى زوايا الغياب.. وصفهم صعب مستعصب على طفل لا يؤمن إلا بالفرح..فأشرت إليه بالنظر إلى الجهة الأخرى لأقول له: هذا مطعم يبيع الشاورما!.

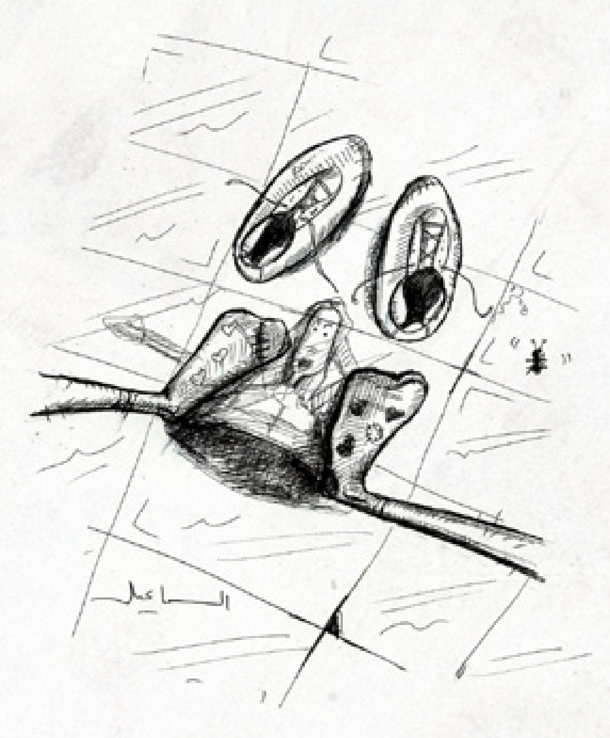
مشهد المناصحة كان حاضراً في آخر الحلقة التي قدمتها قناة الاقتصادية، شاب يافع يشبه زهرة الجاردينيا كان يتجول بقميصه الأسود داخل السوق، استوقفه فريق الحلقة ليجعلوا منه عينة اختبارية، هناك دار حوار بين الشاب محمد وبين الغبيوي، وهو رجل الهيئة في الميدان، حوار على طريقة يا هداك الله ..ما لك والتشبهة بالغرب..كان الشاب بسيطاً في ردوده لكنه كان أكثر واقعية..تشاغلت الهيئة بفتحة الثلاثة إنش التي ظهرت من صدر الشاب وتشاغل الشاب بالإشارة إلى أننا لا نلبس إلا ماتبيعه المحلات التي ترونها حولكم...من المؤكد أن حواراً كهذا لا يطول غالباً إلا لدواعي التسجيل، ففي الأغلب الأعم أنت عرضة للفوز بنزهة في سوبربان الهيئة متى ما أبديت الاعتراض على النصيحة .

هذيانات وطنية

وطني..إشارة ضوئية معطلة

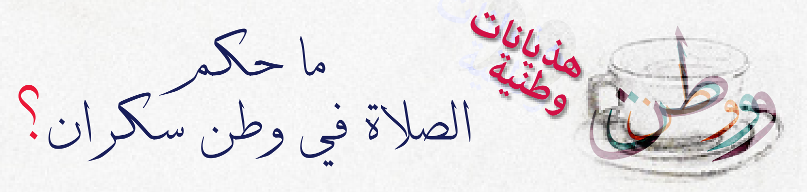
ابتسم الشاب مراراً بتعب، بياض أسنانه المسور بالحديد لم يُخف كل القلق الذي اعتراه وذلك الشيخ يكرر عليه أنت تخفي بنطال «طيحني» الذي لا نراه من وراء القميص.. طاحت نظرات الشيخ مرات على كل جسد الشاب الذي صار جسداً لسياحة الهيئة، لعلهم يلمحون شيئاً ما بين الملابس للرصد غير الحلقات البلاستيكية على معصم اليد، وكان المذيع قد حسم هذا المشهد بالسؤال : ماذا تفعلون يا شيخ في مثل هذه الحالات، هل تأخذونها إلى السوبربان؟..فكان جواب الشيخ أن هذه الحالة تنتهي بالمناصحة فقط، ليتنفس الحضور الصعداء ويشكروا الهيئة على أنهم أحسنوا أداء الدور في لقطة قد لا تتكرر دائماً!.

حتى لا نكون جزمة شمال !



❞ تقرأ في الصحف خبراً عن إغلاق بقالة بلا ترخيص، أو ورشة سيارات، أو مصنع أحذية، أو معمل لتكرير الخمور المحلية، أشياء كهذه باتت مألوفة ويمكن أن نفهم دوافعها، فهذا يريد التهرب من تكلفة الإجراءات النظامية، وذاك يريد الستر لعمالته غير النظامية، وثالث يتاجر في الممنوع وهكذا ..أما أن نسمع عن إغلاق مسجد بدعوى عدم وجود تصريح فهذا أمر يفتح باباً لأداة التعجب وأداة السؤال وربما أداة الاستنكار..ففتح المسجد بلا ترخيص واغلاقه بالقوة فعلان مبهمان مبنيان على احتمالات سوء الفهم، أو سوء النية، أو سوء الدراية، أو سوء السوية، أو سوء العلاقة بين الفعلين ❝

القول بوجود مسجد غير مرخص في حد ذاته دعوة للوقوف طويلاً عند إشارة قف، قبل الاستدارة إلى اليمين أو اليسار، فمن غير المفهوم أن يهب الناس بيتاً لله بلا ترخيص، بمعنى أن يجعلوا عبادتهم سبباً للخروج عن المسار المخصص للمشاة، وأن يجتمعوا في فناء مطلوب للعدالة..لا بد أن ثمة خلل لكن ليس في التصميم الهندسي ولا التصاريح البلدية ولا في اتجاه القبلة..و إنما خلل في بنية العلاقة بين الفاتحين والمغلقين، بين المصلين والممانعين، بين أمنياتهم على باب الله وباب النظام.

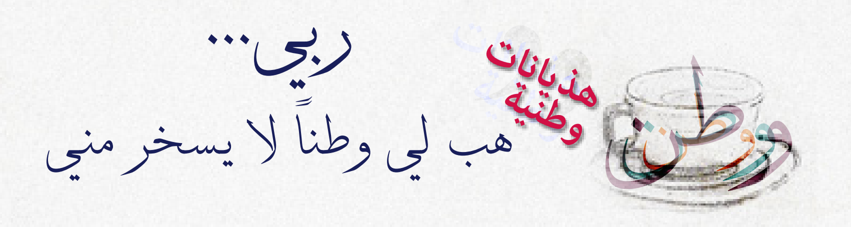


المساجد كلها لله لكنها في نفس الوقت بيوت للناس أيضاً، لذلك هي ساحة لاختلافاتهم وتنوعهم، ما كانت في تاريخها الأول إلا مساحة لكل أحلام المؤمنين الأوائل بمثل ما هي السقف الحاضن لتبايناتهم، لتفرعاتهم العقدية قبل أن تصيرها الدول إلى مكعبات ماجي تطبخ بنكهات السلطان ومزاجه السياسي.



في هذا التداعي الذي انتهى إليه المسلمون بات المسجد حصناً لكل طائفة، فئة، جماعة، جزءاً من امتيازاتهم، ومكانا للتعبير عن أسئلة الهوية والعقيدة والحياة، بات مفهوماً أن ينشغل كل فريق بإنتاج مسجده الخاص الذي يشبهه، فقد خرج المسجد من باب الجامع إلى حصص التموين الفكري التي يبحث عنها كل فريق.

أنا آخر الباحثين عن تصريح لبناء مسجد، فالمساجد كثرة والناس أحوج إلى بناء واحات الايمان بداخلهم أولاً، لكنني لا أقبل أن يصار إلى إشعال النار بين الناس كلما حسبنا أنها قد أوشكت على الانخماد، لا أقبل أن يصبح الوطن أضحية عيد لأولئك الذين يستثمرون هذه الحوادث لإرجاعنا خطوات اخرى إلى الخلف، ونساق جميعاً إلى المسلخ الطائفي الذي يتسع لكل اللحوم النيئة.



نريد وطناً لا يخاف الناس فيه لا على عقائدهم ولا أجسادهم ولا عواطفهم..وطن لا يقبل القسمة إلا على نفسه!..وطن لا نخاف فيه أن نقول «لا» بصوت واضح..لا على طريقة اللابسين للجزمة الشمال في درب الزلق!.

سكوت... الوزير بيننا!



لم أشاهد مصباح علاء الدين السحري إلا في أفلام الكرتون لكني كنت أعتقد أن وجود رقم وزير في هاتفك المحمول يكفي لجعله مصباحاً سحرياً، تخيل لو أومض الرقم في الجهاز، وبان الوزير بقده المياس، حتماً ستتخيل مثلي أنك على وشك ركوب بساط الريح على طريقة العيدروس والصلال.. قبل أعوام قليلة عشت هذا الشعور لبضع ثوان فقط يوم تكرم علينا وزير ثقافتنا السابق إياد مدني برقم جواله الشخصي في لقاء مع الإعلاميين في جريدة اليوم، كل الحضور في تلك القاعة أمسكوا بهواتفهم وبدأوا يضربون أخماساً في أسداس..أعني يسجلون الأرقام في الجهاز لتخزينها لساعة الشدة، كان الوزير فطناً جداً، فنبههم وقتها إلى أن الجوال مغلق حالياً وأنهم لن يسمعوا صوته غالباً لأنه في حوزة السكرتير!

مناسبة هذا القول هو حماسة الوزير الجديد لأن يكون أكثر قرباً من الناس، بتخليه عن بشت الوزارة ونزوله إلى شوارع الفيس بوك، يتجول فيها بكل تواضع ، يسمع لهذا ويتحدث لذاك، فهو مشغول على ما يبدو بتفقد أحوال الرعية التي اختفت عن مواقع الثقافة الرسمية وباتت تتسكع في تجمعات إلكترونية.

الوزير الذي اصطاده صحافي جريدة الوطن صدفة يفرفر في الفيس بوك -ويالها من صدفة!- فتح قلبه وحسابه لإضافة كل الناس، فوزارة الإعلام والثقافة لا تشبهها أي وزارة لأنها لا تعرف طوابير المراجعين، والسبب أن الوزارة تملك كل المؤسسات الاعلامية والثقافية ولا أحد يملك مشكلة أو مصلحة ينجزها مع الوزارة ولله الحمد، عدا بعض المتطفلين من أمثالي الذي يترددون على طلب إذن بالتصوير، لتصوير الشوارع والمجسمات الجمالية والشواطئ، حتى يطمئن قلب الوزير ورئيس الهيئة العليا للسياحة ورئيس هيئة الأمر بالمعروف وحرس الحدود ومدير الشرطة وجهاز أمن المنشآت والمباحث الإدارية وكل جهة ذات اختصاص بالتصوير في هذا الوطن!.

أمنيتي أن يتلصص علينا الوزير من فتحة الفيس بوك ليرى حبل الغسيل الذي نمده لأحلامنا على الفيس بوك حتى لا تجف على صفحات الجرائد الرسمية، ليرى كم نختلف في الوقت الذي تتشابه كل السطور في مرايا الإعلام الرسمي، الثقافة على خط النار والحلول مؤجلة لأن الستر أولى من الكشف ، وأدعى لصلاح المواطنين والوطن!.

أشعر مرات بأني كالمتسربين في العملية التعليمية، ساقط في إمتحان الكتابة، لأني لا أملك طقم أسنان وطني يعين على تهجي دروس النشيد، والمطالعة والمحفوظات، لذلك أطمع من الوزير بصحافة أرى فيها وجوه كل الناس، صحافة طموحها يتجاوز سقف نقد شجعان الهيئة، ولا تقتات من المناسبات الوطنية، والمعارك القومية، وابتسامة الوزير والمسئول ورجل الأعمال!.

سمعناك تقول أن لا عودة إلى الوراء فاستبشرنا خيراً..لكننا في هذا الوطن مختلفون حتى في تعريف الوراء..ما وراء الثقافة وما قدامها.. ما تركناه وراء هذه المرحلة وما هو أمامنا الآن..هل منع خروج نورة الفايز على التلفزيون إلا بترخيص من الوراء أم الأمام...و إجازة قصيدة في كتاب ومنعها في إصدار مسجل..و ترحيل قضية السينما..نريد أن نعرف قبل كل شيء ما هي الثقافة التي تدخل في قاموس الوزارة وما هي التي تذهب إلى سلة المهملات، وكم أطمع أن أرى سلة مهملات الوزارة أكثر من الملفات التي تتكدس على طاولة الوزير، فأنا ممن يحملون على ظهرهم بقايا قضايا مهملة !.

هذيانات وطنية

ما ترك لي الوطن من صديق إلا الكيبورد

آمل أن لا يمل الوزير من الدوران في أزقة الفيس بوك، وأن لا تنتهي الحماسة إلى تخصيص وظيفة في الوزارة للرد على هواة المحادثة في الفيس بوك، فالناس يملكون من يتحدثون إليه، لكنهم لا يملكون وزيراً ينشغل بهم حتى في ساعة الفسحة!.

واي فاي يا ضاي عاي

في عام 2006 وقبل أن يطفئ العالم شموعه احتفالاً بنهاية العام خرجت علينا الصحف المحلية بخبر مفاده بأن دراسة قد انتهت للتو لتنفيذ مشروع الإنترنت اللاسلكي على امتداد كورنيش الدمام والخبر... كنا يومها في محنة الدايل أب.. الانترنت عبر الهاتف..توت..تيت..تات.. النغمة التي تعرفونها جيداً.. كل مرة نمر فيها على مقهى جنة الفردوس نتخيل أننا سنعفى من خدمة الإنترنت عبر الكابلات ويطلق سراح المعلومات في فضاء الواي فاي..ويصبح معها الكورنيش مرتعاً للشابكين والشابكات، كورنيشاً لليوتوب والفيس بوك وليس للعب فوق الرمال والعشب المدهون بالخضرة

لثلاث سنوات بعدها ونحن نبحث عن الانترنت اللاسلكي في شوارع الدمام، نبحث عن ٥٦ كيلومتر من الأموال المخصصة للمشروع والتي ظننا الشمس قد أذابتها، صارت أجهزة الواي فاي تختلط برطوبة الجو لكثرة انتشارها في المباني هناك ولا مؤشر على الواي فاي المجاني الموعود سوى البارتوبل، المكتب المتنقل الذي يركن إلى طرف الشارع وقد كتب عليه بالبنط العريض اسم المشروع كاملاً.. في كل مرة نعبر من جواره نخفض زجاج النوافذ لنرى إن كان قد تحرك من مكانه، أو حدث ما يوحي بالحركة من حوله، لكن لا شيء سوى السكون الذي يخيم على سماء المشروع الساكن في الأوراق.

والأجمل من كل هذا أننا مع إطلالة كل عام وبالتحديد مع إقامة ملتقى الخدمات الإلكترونية بالشرقية يعاد تذكيرنا بأن المشروع الذي لايحتاج أكثر من شهرين لإنجازه قد بدأ!!..ولأن الإنسان محكوم بالنسيان، لم تكن الصحافة المحلية تشعر بالحرج وهي تعيد تدوير ذات العبارة : بدء تنفيذ مشروع الانترنت اللاسلكي لكورنيش الدمام والخبر..وإذا كان الإنسان ديدنه النسيان فغوغل لا ينسى، لا ينسى الوعود الذائبة في ماء الخليج، لا ينسى أنفاسنا المحبوسة بفائض المواعيد: تسعون يوماً، شهران، ثلاثون يوما...

أسابيع قليلة، لكنها والله العالم أياماً وأسابيع وأشهراً على غير الأيام التي نعرف، هي روزنامة حكومية بامتياز، روزنامة وسع صدرك، قبل أن تتسع الثقوب في قلب المدينة!.

هذيانات وطنية

الوطن ...و ط ن

هذه خلاصة تقارير جريدة اليوم عن هذا المشروع الذي سيضاف إلى قائمة أكبر مشروع في الشرق الأوسط عما قريب!، وأبط مشروع في نفس الوقت، فالوعد الموعود يتحدث عن سرعة ٦٤ كيلو بايت.. سرعة لم تعد موجودة حتى على قائمة الخدمة في الشركات المزودة للإنترنت، سرعة لتصفح الإيميلات فقط ومعاينة مواعيد الصلاة حتى لا يفوتها السائحون ساعة يعلقون في طريق خروجهم من الواي فاي.

يا كوبري...لا تحزن



الدمام في عين أمينها العام ضيف الله بن فارس بن عايش مدينة متهالكة و مختنقة..هذا ما يقوله في حوار قريب للشرق الأوسط..فيه يحاول شفط الدهون الزائدة في رغي الناس وتذمرهم الدائم من أحوال هذه المدينة التي يراد لها يوماً بعد يوم أن تعج بالفوضى، وتصبح صورة مصغرة من زحام القاهرة

ضيف الله الذي تركنا ضيوفا على مشاريعه منذ تعيينه في منتصف ٢٠٠٥ يدرك جيداً كيف تنمو المدينة عمرانياً، وسياحياً، واقتصادياً، دون أن تجد ما يوازيها من المشاريع التحتية، منذ دخلنا ثقافة الكوبري والأنفاق ونحن لا نرى نور الله يتسلل إلى طرقات العابرين إلى الجحيم، والشوارع الدائرية التي تشبه ألعاب البلاي ستيشن حيث يحاول اللاعبون فيها اجتياز الدائري دون الاصطدام بالقادمين من مختلف الجهات، لعبة يومية فيها رابحون وخاسرون.

حين نسمع تصريحات الأمين لا نعرف تحديداً من تهالك قبل الآخر هل هي المدينة أم المشاريع، هل الشوارع التي انهارت أم وعود الأمين التي لا تكف عن تذكيرنا بأننا على موعد للخروج من متاهة الحلزون، وتحويل الدمام إلى باريس مكررة، فهو مشغول في نشرات الأخبار بافتتاح الحدائق والمنتزهات بينما يغرق الناس في بحر من الشتائم داخل الشوارع المختنقة لأنهم لا يعلمون متى يصلون إلى مكاتبهم، بيوتهم، مواقع النزهة، ولا يعلمون أي مفاجآت تنتظرهم ساعة يعلقون في دوامة الزحام.

أمانة الأمين مشغولة أيضاً بافتتاح الأنفاق وإغلاقها، بات النفق الأول جزء من حكايا ألف ليلة وليلة، شهرزاد تطرز لشهريار فصولاً من حكاية ضائعة بين أخطاء التصميم وتعثر وصول المواد الإنشائية، نفق يساوي بضع انشات على مقياس الخياطين، لكنه تمدد على طول خمس سنوات ولازال عرضة للتمدد خمس سنين أخرى..لقد جاوزنا في العد ألف ليلة وليلة ونحن مازلنا على وعد التسعين يوماً..الموضوع مو سهل..هذا ما توحي به تصريحات الأمين الشفاف والذي دعا من خلال موقع الأمانة إلى نشر صور يومية تصف حال الأعمال الجارية في النفق الموعود بداعي الشفافية وعدم وجود ما يخفيه على المتكدسين عند كل تحويلة نبيلة، غير أن مشكلة الأمين أن أهل داره لا يعيرونه اهتماما لذلك لم يلتزموا بالاقتراح.

هذيانات وطنية

الوطن..تحت التشغيل التجريبي

قبل مائة عام بالتمام والكمال كان السلطان العثماني قد أكمل خط سكة حديد الحجاز، بعد ثماني سنوات من العمل المضني في الصحراء، سكة حديد جاوزت الألف وثلاثمائة كيلو متر وليس بضعة انشات، وكان المشروع يواجه مخاطر ومشاكل لا تشبه مشاكل تسرب المياة التي حولت النفق إلى مخضة لبن...

وجعلت من الإسفلت كالمعجون الذي يلهو به الأطفال..بعد الثمان ركب الحجاج وقلوبهم تهفهف لشدة الوله لزيارة الرسول الكريم ..من الشام إلى الحجاز وليس من إدارة التعليم إلى طرف أستاد الأمير محمد بن فهد الرياضي!!



أنا في وطني كالعومة..مأكولة ومذمومة

بانتظار أن يكمل النفق الذي يشبه صناعة مفاعل نووي ثماني سنوات من العمل قبل أن يصبح مكاناً آمناً لعبور الناس، ليس بسبب قطاع الطرق ولا زحف الرمال كما في طريق الحجاز، وإنما بسبب الأشياء الساقطة سهواً على الدوام من مشاريع الأمين، والداخلة سهواً من غير حساب ولا كتاب إلى تلك المناقصات الطوال! ويا قلبي لا تحزن، فالدمام مدينة مهترئة !!

هويتنا الوطنية وَ ثورة القمصان



" صديقنا القادم للتو من أمريكا قطع يميناً على نفسه أن لا يجعل للثوب والغترة مناسبة على جسده بعد أن تنفست كل شعرة منه على صعيد فلوريدا، وأيقن بأن الله قد خلقنا على صورة البناطلين، وصديقنا الآخر الذي اذخر الوطن لوقت الضيق يحدثني عن تمايله بالبدلة ليلة العرس قبل أن يزفه والد العروس إلى غرفة التبديل حيث استعار من كل صديق قطعة ليكمل الزي الرسمي ليلتها، فيما ثالث لم يعد يملك من ذكريات زيه الوطني إلا بطاقة الأحوال التي لا تشبه غالباً إلا ضجر المراجعين في الدوائر الحكومية "

التعازي في رحيل الثوب والغترة لم تنشر في الصحافة المحلية بعد، غير أن مجلس الشورى أراد أن يستبق الأمر بتدارس نظام يصون للزي الوطني كرامته، ويحفظ اللون الأبيض والأحمر من ثورة القمصان الملونة..الجلسة القادمة سيقف فيها شعر أعضاء المجلس لأن البناطلين خرجت من الكاتالوجات إلى الشوارع، وبات كل غر ويافع وماش وراكب عرضة لموجة البطلنة التي لا تبرح تكشف للمارة عن محيط مؤخراتنا، وأبعاد أردافنا.

هذيانات وطنية

وطني... بيت بلا نوافذ

زينا الرسمي الذي يحاكي صورة الخيمة العربية هو جزء من الهوية الوطنية وعليه لا يلزم السكوت عن تكدس الأشمغة المصنوعة بالصين الشيوعية في مخازننا الوطنية، وتراجع مداخيل أبناء اليمن السعيد المختصين بتصميم ثيابنا الوطنية، وتربع الكبابيس والقبعات على جماجم أبنائنا، ورواج قوارير الجل بين جيل الشباب الذي شعر للتو بقيمة الحرية لانطلاق خصلات شعره في الهواء..

من المؤكد أن هنالك من أعضاء المجلس المبجل من سيذكرنا بمعاناة الأستاذ الجامعي الذي يصر على إقفال أزرار ياقته وإغراق شماغه بالنشأ فيما يهرول طلابه إلى المحاضرة بشورتاتهم، وعن الرجولة التي هجرت الزبيري باتجاه الشباشب، وكيف اقتصرت أغراض الزي الرسمي على الرقص في المناسبات الوطنية، وربما قال قائل بأنها حلقة في سلسلة التنازل عن الهوية، والتغريب، والتضييق والتوسيع، وأنها اجتياح ثقافي، ومؤامرة حضارية ونيل من كرامة الأمة وقوامها، وهندامها وباقي مداخن التهويل.

هذيانات وطنية

وطني...بيت بلا نـــوافذ

في اجتماعهم الموعود سيكتبون حتماً سجل حسنات هذا الزي ، ويتركون سيئاته ليكنسها الكناس بعد فسحة الغداء، وربما قرروا إلزام الناس بالزي الوطني في الشوارع العامة والمرافق الحكومية، والمقاهي والمجمعات، وربما رفعوا توصيات بتبديل الرسوم التوضيحية في مناهج الطلبة لتقدم صور الرجال بالزي الوطني، وتدشين مجسمات جمالية تحتفي بالشماغ والثوب، وربما - والله العالم - يفرضون رسوماً على محال البناطلين والقمصان بدعوى تمتين الجبهة الداخلية وتعزيز الهوية الوطنية وتوحيد المواطنين، وحتى نبقى نواجه الدنيا بثوب أبيض..ثوب يخاف كل شيء..لأنه مكشوف على كل احتمالات الاتساخ!.

متحف وطني للتحويلات



"لأننا فرطنا كثيراً في تراث الوطن، وجعلناه عرضة للمعاول والشياول، بات علينا أن نعوض ما فات، ونجمع اشياء للذكرى، للعبرة، لتعرف الأجيال القادمة ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، فيحمدوا النعمة ولا يسرفوا في النقمة، واقترح لأجل ذلك تخصيص متحف وطني للتحويلات!، وأعني بها "Detour Ahead" ، فهي اليوم خزان كبير يكفي لتروية ذاكرة وطنية تحت الإنشاء"

نعم، التحويلات التي نشهق لرؤيتها في الشوارع السريعة، وربما نبكي، نتذمر، نحوقل، وربما نتسمر خلف المذياع لترخية العضلات التي تستطيل كلما استطالت التحويلات، التحويلات التي لفرط الابتهاج بمفاجاءتها ، تعانقها السيارات، تأخذ من لونها، ومن شكل انحناء الخطوط بداخلها.

لا شيء يشبهنا اليوم أكثر من التحويلات، والتحويل في اللغة هي انتقال الأبل من مرعى لمرعى، ولكننا هنا بلا إبل، وانما قطع حديدة لها عجلات ، يسميها بنو العامة كفرات، كفرات لا تمل من تقبيل الاسفلت رواحاً وغدواً، لكنها ساعة تلتقي بإشارة «انتبه.. أمامك تحويلة» تصاب بالحول، تدور ذات اليمين وذات الشمال، فمن اختصاص التحويل تعريف الناس الطرق الملتوية، والسياقة الملتوية، لأن الخروج من دوامة التحويلات يستلزم صبراً نادراً لا تصرف أدويته في الصيدليات المحلية إلا باستشارة الطبيب!.

هناك يمر الوطن كله تحت اختبار الضغط، ودقات القلب، وارتفاع الحرارة، وكل مجسات الفحص، هناك يختبر الواحد منا معجمه اللغوي المهمل، معجم الشتائم التي تتحول من حالة سائلة إلى جامدة في لحظة الغليان، لتمتلئ المناديل بما تبقى من سوائلها، وإذا ما ارتطم الحديد في الحديد، أخرجت الروح اثقالها، وقالت ما لهذا الوطن لا يؤمن السير في شوارعه، ولا الوقوف في طوابيره، حتى قال قائلهم الداخل في التحويلات مفقود والخارج منها مولود، ولكنه مولود فاقد لما اذخره من مشاعر نبيلة طيلة اليوم.

لكل تحويلة ذكريات، لا ترتفع بارتفاعها، فهنالك من قدر له أن يترك بضع قطرات الدم للذكرى على أطرافها، وهنالك من سكن الضجيج في أذنيه ساعة الازدحام، وهنالك من سجل أول حادثة شجار عائلي داخل السيارة في دفاتره، وآخرون من الذين اضاعوا مواعيدهم عندها، فالوقت مهدور الدم متى ما لاحت في الأفق علامة ديتور!.

وطني..ربيع الصحراء الذي لا يأتي

هي تستحق دخول متحف التاريخ بمثل ما تستحق الدخول في موسوعات غينيس، فالتحويلة في عرف المرور علامة مؤقتة، أي إنها أمر مجبول على الانصراف، على الاختفاء، غير أن قدر هذا الوطن الذي حير غوغل وهو يبحث عن خريطة نهائية لشوارعه، قدره أن تلد التحويلة تحويلة أخرى، فالتحويلات الوطنية من جنس الأرانب، حتى أصبح لكل شارع تحويلة، ولكل مواطن نصيب من الضياع، والشعور بعدم الأمان، في شوارع أذن الله لها أن تكون وسيلة للوصول، للانتقال، للعبور، وشاء لها أهلها أن تكون مصيدة فئران!.

وطن تحت الطبع..



" في وطني..يقف الناس على باب سقراط طمعاً في سندوتشات همبرغر ، ويسألون الزهراء دلو بانزين ، ويطلبون من الصادق صحناً من الزر البخاري..سقراط الذي دوخ أثنيا بأسئلته انتهى إلى بوفيه تبيع لفائف الخبز في شوارع الخبر، لم يكن يعلم أنه سيخرج من دفاتر التاريخ ليدخل في ورق الشورما والباذنجان ، كما لم يعلم الصادق أن بحر علمه الذي اغترف منه القريب والبعيد سيلحق بدروس طبخ الرز على الطريقة الافغانية، ولم يتنبأ أحد أن الزهراء التي أنجبت الحسنين سترفع راية ترشد العابرين إلى مضخات الوقود "

لا تصبح الرموز وحدها موضعاً للاستهلاك في الدعايات..بل حتى الفحولة باتت عنواناً لترويج البضائع في هذا المجتمع الذي لم يبرح مرحلة الحفاظ..حين تظلك إشارة حمراء في أحد الشوارع ستسقط عينك حتماً على إعلان كتب عليه «للرجال فقط»..ستنظر يميناً ويسارا خشية أن تبدي لك اللوحة ما الله مخفيه..فلا ترى وأنت تمعن النظر إلا قطعة همبورغر جعلت منها الاضاءة في التصوير تضج بالحياة..قد تشك في رجولتك وأنت تشعر بالعجز عن اكتشاف دواعي الحصر في الإعلان..ستقول لعلها الهيئة تدخلت لوجود شبان يافعين في الإعلان قد كشفوا عن بياض أسنانهم، والأسنان عورة!.. لأنها بيضاء..أو لعلها الهيئة خافت أن يزدحم الناس من جراء الإعلان على أبواب المطعم..فاختاروا طريق السلامة وهو ..للرجال فقط.

لوحة قرمشني تعبر بك الجسر إلى نهاية الطريق...الشابورة الغانج التي تتيح لآكلها أن يقترب منها حيثٍ يشاء...قرمشني من فوق ومن تحت..إعلان جرى استبداله لاحقاً بعبارة»قرمشني كدا وكدا».. سيخبرك إعلان آخر أن السيارة الكبيرة أجمل..بينما دجاج الفروج يؤكد على أن صغير الحجم اجمل...

شوارعنا مسكونة بأحوال الفحولة دائماً..ولولا ذلك لما دخلنا موسوعة جينيس بمعدلات الحوادث..كل فحولة تستوجب معركة على الطريق..المستفحلون كثر عند الإشارات الضوئية..يلصقون مقدمات سياراتهم بمؤخرتك..أعني مؤخرة سيارتك ..لن يقول لك أحد هيت لك حين تفتح الإشارة..بل سيسترسلون في الضغط على البوري ليخبروك أنهم يقظون أكثر منك..

عجلون أكثر منك..متهيئون أفضل منك..وإذا كنت سعيد الحظ قد تشهد عناقاً جماعياً لسيارات اجتمعت فوق بعضها في منظر مخزي..ويبعث أحياناً على تذكر الآخرة...حوادث جماعية لا تشبه إلا معادلة يصعب تفكيكها..وقبل أن تتنحنح من شدة وقعها عليك...ستبصر سيارة تخترق الجموع، تميل ذات اليمين وذات الشمال، قبل أن تحاول خطف قبلة من سيارة أخرى...تقف الحركة في منتصف الشارع السريع..ينزل العامل الآسيوي من سيارته.. يقف كالطاووس..فيما الرجل الآخر يعد أنفاسه...وأحسب أن هذا الأخير كان قد أخرج شيئا من فحولته في الجولة الأولى..وهو الآن يستعد لاختبار فحولته في الثانية.

هذيانات وطنية نعتذر.. الوطن مغلق للصيانة

أُقفل راجعا بعد أن أغلقت الأرض أبوابها إيذاناً بالصلاة...نترك كل ما شاهدناه من صور دون تأويل..فم الشارع ممتلئ بالعابرين... وقائد السيارة التي تلينا مباشرة من الخلف لا يكف عن التلويح برغبة المرور..كان يتمتم بكلمات طيلة الوقت..متأففاً..وكنت أقول لزوجتي التي اعتادت منظر الزحام..أن الرجل الصالح ذي اللحية البارزة الذي بالخلف يرسل لنا الشتائم لأننا كنا سبباً في تأخيره عن أداء الصلاة في وقتها!!.

تلك يوميات عابر طريق..بين الخبر ورأس تنورة..يوم واحد فقط.. شاهدت فيه كل تلك الصور..وتلك المعارك..في وطن مازال ينتظر.. مازال تحت الطبع!



أخبرني غوغل عن أبيه عن جده، عن روابط متناثرة في الإنترنت: أن الوطن حاوية معانٍ، تسع كل الأشياء، الوطن للإنسان كالعطن للإبل؛ كالمربض للغنم والبقر. هو المكان حيث أناخ المرء، حيث استدارت عيناه أول مرة وتباركت بالدموع.

والوطن أوطان، والعطن أعطان، والمربض مرابض، وكل واحد منها وعاء، غير أن للأوعية سعات؛ فهناك وعاء يسعك.. يتسع لصفاتك وأبعادك، يحتوي ذاتك وما تدافع فيها من أفكارك وأحلامك، وهناك وعاء قاصر عن جمع أشيائك، دأبه الضيق والتضييق، فذاك أقرب للخصومة، والوقوع الدائم خارج أطرافه، ولا شيء يعصم عن الخروج منه إلا قدرته على التوسيع، أي أن يكون وساعًا يجمع ما فاض منه إليه.